

الْعَذْرَاءُ مَرْيَمُ

وميلاد المسيح

عيسى عليه السلام

بين القرآن والإنجيل

تأليف

فathi فوزي عبد الغني



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَبَقَاَتِ ۝﴾

الَّتِي حَكَمَ بِمَرِيَمَ أَنْ تَحْبِسَ فِيهَا وَلَمْ يَرْكَبْهَا وَلَمْ يَطْعَمْهَا
خَلَقَ بِكَ الْكَافُورَ ﴿١٦﴾ يَحْرِمُ الْفَقِيرَ لِرَبِّهِ وَالْمُخْرَجَ
وَأَرْكَبُ مَعَ الْكَافُورِ ﴿١٧﴾ ﴿

قرآن مجید سورہ عمران آیات ۱۶ ، ۱۷

﴿ وَمَرَرْنَا بِهَا ۝﴾

عِزَّنَا إِلَى أَنْصَبَتْ رَحِمَهَا فَتَحَنَّنَ عَلَيْنَا رُبُّنَا
وَصَلَّحَتْ بِكَلِمَاتٍ مِنْهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الْفَيِّقِ ﴿١٨﴾ ﴿

قرآن مجید سورہ النجم آیت ۱۸

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَزَيَّنَ بِكَ عَمْرَانَا

حَدِيث شَرِيف

وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فَاطِمَةُ بَعْدَ التَّوْبِ مَعَكَ مَسَارَكَةُ أَمْنٍ
مِنَ النِّسَاءِ يَا مَسْرُومٍ

امام ترمذی تصنیف الآحاد المعرفہ ۴۵

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يطلق جميع المسلمون والمسيحيين على طهارة العذراء مريم أم المسيح عيسى عليه السلام... بل لعل القرآن الكريم قد انحصرها بمريم من الحميد وفصلها على كثير من نساء العالمين

ولقد كان ميلاد المسيح عيسى عليه السلام من نور أب معجزة فريدة أحرارها الله على يد مريم ليكون قبلاً على قدرة الله ومشيئته .

وفي هذا الكتاب تتوزع أحداث قصة ميلاد العذراء مريم من أبوين كثيرين في السنين وميلاد المسيح عيسى عليه السلام .

وقد راعيت في سرد أحداث القصة عدة إختلافات هي :

- ١ - الرجوع إلى القرآن الكريم وما يطلق منه من الأناجيل الأربعة .
- ٢ - دراسة للمسرح الذي طرأت عليه أحداث القصة من الجانبين التاريخي والسياسي وربط هذه الظروف في كل من فلسطين حيث ولد المسيح وفي مصر حيث عاش بها بعض سني حياته .
- ٣ - توضيح قدرة الرب في ولادة مريم والمسيح وما صاحب ذلك من أحداث ومفردات .

ولعل هذا أكون قد وضعت والله ولي التوفيق

لؤلؤة / عيسى فوزي عبد العلي

(١)

كان البحر يسرع خطاه إلى العالم ... يطارده بمرور طلام الخيل .
يعلم من بهلاك يوم جديد . يفرش صوته على سموح الأرض يحرقون
في فلسطين ، فيلقها وما حولها مستارة غصية غنية ... تبدو من خلقتها
صور كثيرة رائعة تطلق بشدة الرب وحكمته ... هذا من إلا
الخطات ... حتى كانت الشمس تشرق في الأفق ... تنقسم للعالم في
إشراق ... تلقى بأنسجتها على تلك النور الماثرة ... توطئ العالم من
سباته ، أبهى الناس من يومهم كفى يفتلوا معها رحلة الحياة التي
احتادوها كل يوم . واستيقظت مع من استيقظ من أهل حبرون
حين نبت الفجر ... واحدة من ساء من إسرائيل ... فأبطلت معها
حاربتها . وبهتة سوية تطالعان في السماء وجه النهار . وتظفران
الشمس وهي تكبر في الأفق .

كانت حين في الخمسين من عمرها أو تزيد . عرفت بين قومها
بالإيمان . سعيدة بزوجها حمراء بن مائى . أعدت قطعا قوما .
لكن شيئا ما يفتن حين وزوجها . يرق بعضا من أسيار هذه السعادة
التي سمعها معا يحوطها من الحب والإيمان . فحكم تمن تصبها إلى
أن يملأ عليهما حياهما . يملأ بطلال حياهما . يوث مكالمة أبيه .
فيكون واحدا من كهنة الهيكل . إلا أن الأمل قد صاع . أسيات
الأيام والسود ، فقد مضى عليهما الزمن طويلا ، ولم يظن لهما
الرب أملهما ، وكاد حمراء . ولقد أسيات التكبر . أن يفتح لها شاء

له قرب من معادته بين أفعاله وأفعاله . لكن حبة ما تراقى في لحظة
إلى لحظتين الأمل .. تذكره كلما أحسست بمعادته الأتومة مهدد
عليها . أو كلما شعرت بظلمات مساء يومها كالمرأة عاقر . لم تكن
عن الدعاء لربها . . . تلتقيه .

- رباه . إلهي وإله آملين . طركني واستحببت لدعائي . واستحسني
ولذا تقر به عيني

حتى كان ذلك اليوم . حين إستهبطت حبة وجاريها وزادها
تدابعك فرس الشمس وهو يكبر في الأفق . في ذلك اليوم - لأمر
شبه الرب - أحسست حبة حين يدعها إلى أن تغشى بعيدا عن
ديارها . إلى تلك الحقول المغطاة بأرض حيود . لذلك أسرعت
وجاريها وأخذتا طريقهما بعيدا . عليهما تستمتعان بسسات الصبح
الغنية . وتستشققن عبر الأزهار الجديدة . تركبها تلك الحدائق المظلمة
التي خرجت بها أرض حيود

ورأى الصبح حين أسفر . إمرأتين تحببان بعيدا عن ديارهما .
كان حبيلا كل ما يبطأ عنه . فطواء رقيق وعبات الشدى كالحلزون
الشور فوق الأشباب . واست التصح يثنى طريقه حول الأرض التي
رطبها الشدى

لم تدرك حبة كم من الوقت مضى عليها وهي تطالع سطورا تقدره
الرب . فإنها لذلك . إذ أصبحت فوق شجرة . طائرا يرقى
معارفه . يتعلمهم عظماءه . والصغار فرسى بأنهم . سعداء
عندما . يصطفون بأحبتهم . هناك تذكرت حبة أمرها .

والحركت في نفسها عاطفة الأمومة ، ولست لو سمعها الرب طفلا ...
تسعد به كما تسعد هذه الأم مفراسها ، فراحت تدهوا ربا -

- ربا ، إله آهات ... بلوكي ... إصمعي ولدا فتر به عيني ...
ربا . حلت قديرتك ... منحت هذا الطائر عطفه على فراحه . فهلا
لرب صمعي إنما أفيض عليه من عطفى وحنان .

طير الطائر من عنده حد أن حلف وراعه صغاره سعيدة ...
ومضت حدة تابع هذا الطائر وهو يتعد ، فذكرت روحها همران ،
وكان قد حال به اللثام في البرية ... صامتا لربه عابدا ... هكلما إعتاد
أن يفعل ، ومرت ندها صورة ، فراحت تساقط نفسها ... أفراء
ما راق على عهده ... يذكرها حد ربه في صلاته وصومه !! أكرام دهم
الدهاء لربه . ألم تراء قد يفس من تطبيق الأمل حد أن أصابه
الذكر 115

وأفقت الخارية على سيدتها ، فلا حظت آثار دموح ما تراق تفرق
في حينا ، فأدركات أن حدة تمان أمرا ما ... نفسه في صدرها ،
وكانت الخارية تعرف من أمر سيدتها شعنها بالولد ، فبالت وهي
لحوق أن ترسم على شعنها أفسحة ما

- ما أفسحت إلا أنك تعكري في أمر سدى ، فقد مضى على
فراقكما طويلا ، ولكنه غاد اليوم أو غدا فيما أعتقد مهوى عليك
بأسهل

فالت حدة ، وقد أيقظتها هذه الكلمات من نيكورها .

- لا ... فما حرمت اليوم لفرق عبرى وكيف أحرى : ولما أظنم
أنه تركنى ، تسعى إلى ربه ... لعله عاهد اليوم لو عدا .

- فأنى شئ به شغلك يا سيدى 13 وعدا الكون من حولنا إلا النفس
بهجة وسعادة ... 13

- بل هناك أحمل من هذا يا فتى .

- فأنى محال تعين يا سيدى 14

- ذلك الذى أخط فى نفسى شيئا ... أفر غير ما تتحدثون عنه .

- 14

- هذه هي الحقيقة يا فتى ... أعلو أن أسألك ... لكن دائما
تذكرها . تذكرى بها عاطفتى كأمرك ... ذكرى بها اليوم هذا
الظلم ، وهو يروق صغاره . ولى أنا لقد عرفت الناس بغيرى . لم
يحسنى الرب الولد . ويعلم الله أنى ما كنت ، ولا فرطت فى حقك .

قالت الحارثية بعد عريها كلمات سيدتها :

- هوئى عليك يا سيدى فإرب أرحمك .

- إنما لم الأليم ... وبصاحب أسود . وأحسنى ما أختار أن أترك
لعلام كما حنت إليه ... شعرة خلا تمر ... ما تليت أن نحت ، فلا يقى
لما فى الجود أثر 15

فمسحت الحارثية أثر دموع سيدتها وهي تقول :

- فلياركنك الرب ، كما يارك سارة زوج إبراهيم الخليل ، فليسها
إسحق بعد طول انتظار . فمن الرب أسكنى من قبلك السخط ،
والجدي منك اليأس ، والشرقي من نفسك الآمال ، واليهي إلى ركنك
فأودعه .

- فإن القدر هو عزائي .
- إن وحق الرب ألح في حبيبك بارقة أمل
- فهل يكون الأمل يا فتاة ؟ وهل يصحني الله في القدر ما حرمني إياه بالأمر ؟
- فأما الأمل فدعوه وشأنه ، وأما القدر
- لعله يكون أفضل .

كان الحديث أن ينهي بين حبة وحاريتها ، ولكن الخيرة عادت تقول :

- بحق الرب يا سبدتي .. هل يصيحين إلى رأي لراه ؟
- فإن مصيبة إليك ، حدثني ما شئت .. فكم أشعر في كلماتك
- لسماء الجراح نفسي .. حدثني يا فتاة ..

قالت الخيرة ، وقد أسعدتها كلمات سبدتها

- فإن الذي حرم في قلبك الأمل ، لا يصح أن يعيدها بعبته .
- حتى يفتقها لك ليرة في بطنك .. ثم حبا في أحضانك .. ثم طفلا
- تقر به عينك ، فهلا تعاودني الرب .. إن سحلك الولد .. أن تطرق
- به إليه .. فمفرقه لخدمة الطيكل^{٢٤}

فصارت حبة طريحة :

- أتعاد الرب على ذلك .
- هيا يا سبدتي ، فصل للرب وانعميه ، وعاهده أن يصحب الولد ،
- أمرأه بطنك .

وبرأت هذه الكلمات في نفس حبة كما لمزل لطرافات القلب على

الحررة الخدانة .. فأني سعادتي أن تزوي بالولد ، ونعمتي الخدانة
البيت .. ليكون واحدا من سديته .. رانيها لدى الله ، وأسرعني حنة
تصلي لربها ، وقد رافعت يديها متوسلة غافقة :

- ربنا .. إزلي أماعنك إلى يكون ما نفعه لي محررا ليكنك
القدس .. تشهد على هذه الشجرة .. وهذا الفراء من حويل .. وهذه
السما من فوق .. ففضل بأرب مدري !!

فما انتهت من كلامها .. حتى جيل إليها أن عاتقا يذهب بها .
أن الرب قد استجاب لصلاتها والله يحق أنملها .

وكان النهار قد أوشكت على الرحيل .. وقرص الشمس ينضي عاتقا
إلى الأفق . فصعدت حنة وجاريها عاتقتين إلى ديارهما . وسؤال
يلج عظيما .. هل يعلق الرب ديارهما ؟؟



(٢)

أقبل عصراي على روضة حبة فزاد من فرحة على غير عادتها .
وإذا لفت السحابة الكثيفة من الحزن التي كانت تطوق حبيبها . قد
تلاشت حطب إفسامة مصيفة تكبر على لغرها . حتى لشكوا ليلاً
وحبيبها .

وأقبلت حبة على روضها . فرحة بمقابلة بعد طول غياب
مشرقة الحزن . يظن وحبيبها بكل ما يملأ نفسها من فرحة وسعادة .
وتطورت هي على وجه صورة لم تعهدها . صورة حلوة رائعة .
لم تستطيع رمال البرية التي حفرته أن تحجبها عن وجهه . فبدأ
مشرقة . على أكثر ما يكون إظرافاً .

قالت حبة لروضها ، والكلمات تنم عن على شخصها :

- أريدت يا عصراي . كم يسعد الإنسان حين يروى الماء الفلال بعد
ظمأً طويلاً ؟
فأجابها روضها صامتاً .

- وكم يفرح الغريب حين ينوب إلى داره بعد طول فراق ؟
- أرب رحباً بمفطت لي .

وكان الحديث بينهما طويلاً فصلاً . ليس كل منهما إلى الآخر ليس
المحب للمحب ، والرحمن للرحمن ، وفرح كل منهما بمصاحبه فرجاً ملاً
عليهما لحظتهما ، فأحسا بالسعادة تغمره كل ما حولهما ، ولشرف

في نفسيهما بالبهجة والفرحة .. أتراء كان حين الروح الروح ، بعد
طول الفراق (١) .. ألم تراءا مرة القاء ؟ ، ألم تراءا غير هذا وذلك ؟
وأصبحت الجارية بما بين الرجل وروحه .. فصبت بيما .. إلى
حيث تعد لها الطعام .. فما أعزها عسرك بروحه حتى قال لها ،
والسعادة نور كبره .

- أنسرى يا حبة .. لقد استجاب الرب لصلواتك .. وتقبل دعاك .
ودعشت حبة لما تقول روحها ، ولم تكن دعشتها لأنها الذكر هل
الرجل كلمته .. ولكن دعشتها لأنها لم تكن أنسرك بما حدث لها
بالأمس .

- ترى من ذا الذي أضاء ؟

قلت حبة وما تزال علامات القداسة ترسم على وجهها |
- كأنت اقرأ ما في نفسي يا عسرك ..
- بل هي الحقيقة يا حبة فاقود .. إما اقرأ السعادة في حبيبتك .. بعد
أن تراءا سطوراً مائلة .. وصحبتا كلمات مبعث في ..
- ما أصعب إلا ألتك ليدلني مشاعري .. كذات اللحظة أن أجدك
تحدث نفسي |
- فما أحسبك إلا صادقاً .. وما هوأنت نفسك خيالات أوهام -
كما كان يراءى لك في الماضي - لكنها الحقيقة رأيتها حين .. نعم
يا حبة فاقود .. هي الحقيقة صعبة ورأيتها

- أنبشري يا حبة ... لقد استعجاب الرب دجلك وسيدجلك ما تصير
إليه نفسك .

فلاذ حبة وقد كثرت قدحشة على وجهها :

- خمس أمالك بهذا 14

- فأناني به ملاك الرب : بهذا حدثني .

- ملاك الرب 15

- هو كملكك على الرب

- فحدثني حديث ملاك الرب : وما عهدتك إلا صادقاً في
كلماتك ..

قال صبراني :

- لملكك تطعون يا حبة أي اليوم .. كان بداية أيام الصوم للرب ..
فماضته حبة :

- إنما أحسب هذه الأيام واحداً بعد الآخر .. حتى لقد تطول لي ..
فلا أحسبها أربعين يوماً .. بل أربعين عاماً 16

- لا بأس ، دعني الآن حديث فليكن ، وأصبرني إلى .. كان اليوم
هو آخر أيام صلاتي .. فحسبت أنني عائد إليك .. فذكرتك ..
فستعدت صورتك أمامي ، جعل لي أنك مفرات حزينة من أجل
ألم يوفودك .. فردد لي خمس تلك الكلمات التي كنت أصيحك
تلهذي بها ربك .. فاصبه لي بمحك الولد .. كم كنت حزينة من
أخطئك ، يعلم الرب أنني ألهأفرك آمالك .. ولكن فرحال دافعا
يقعون بعض آمالهم ، كما يختبسون في صبورهم كثروا من الآسهم ..

من أجل هذا كله قد ذكرت اليوم دعوت الرب بكلمات بسيطة من
إلهي ... من تلك الأوبة التي أنجى بها نوحا ... وألقوته ... طردا
كلماتي فصل إليه ... وإذا الدور فلا كل ما حولي ، وصوت الضمير
يقول لي :

- يا عيسى - لقد أرميت الرب إليك ، لأشركه بالله قد جمع دعائك
ودعاه روحك ، فم طامع إليا . وأصبرها لها مستحيل عشية
الرب . وسيكون لحملها في الوحود شأن يسرى ذكره على مدى
السن والأيام ...

كانت حلة تستمع إلى كلمات روحها . كأنها تستمع إلى ترنيمة
من مزامير داود ... أو إلى زنبيل الصلاة في هيكल الرب ... وكم
أفجع ذلك صدرها ... فقصت في الأخرى تحدث روحها بما حدث
لها في البرية وتنته مدورها للرب :

وأفقت الخربة ... تقدم الطعام لبيدها وهي تستعد أحداث
الأمس ، وعرفت من أمرها ما أعد لها . وعشت أن تتركهما ...
لكن سبدها استقبلها ... انتظر كنهها سعادتهما وأحاديثهما ... ولطفت
الثلاثة بعض الليل في حديث طويل مجمع . على بعض الموضوعات ...
لعلهم أعدوا من آياتهم وأحاديثهم وأماهم . من سارة امرأة إبراهيم
الخليل ... حين رعبها الله بإسحق ... بعد طول انتظار ... من يوسف
يوم حفظه الله من السوء ، وصرف عنه كيد إخوته ، ورجع أبوه
على العرش ، وجرؤا له سجدا ... من موسى ... يوم أوحى الله إلى
أد أن يصعد في مندوق ، وتلقه في الجح ، ثم ألق الرب صدرها

بمودة إليها ... يرتفع القلب من لديها ... ويرتفع معه حب الأم
وحباها بعد أن الخطبة ... ولعلهم أيضا تحدثوا جميعا كأنهم يتحدثون
فيه ... عن الأيام الطوال ... أيام أن كان للذي قدسته ومهاته ... لكن
الرومان قد برعوا عن الشعب حرته ، وسلطوه أمه ... سيطر الحكام
من الآفومين ورجال هيرودس يلهون ظهور القوم قسوة وإظلمة
ومدلة .

وما بلغ الثلاثة من حديثهم إلى ذلك ... حتى قال عمرام وهو
يتأهب إلى فراشه :

- عليك الرب أرحمنا كما كان دلائسنا رحمة بأجدادنا ... لعل
القوم بالمتصور في تعاليم دينهم طريقا يبعدهم عن طريق العواطف ...
ويبعدهم إلى طاعة الرب ... إنهم .

وقالت حنة والجارية رحمة تتردأ :
- أمين .



(٣)

أفتركت امرأة مصرياً حلالاً بضعة أيام .. أين أقرب قد سبقتها
ما جاعدها عليه على لسان ملائكة .. وإذا أنشأها يكبر في أعتاقها يوماً
بعد يوم .. ولم يكن ذلك ليصرعها عن صلاتها .. على أيردها إيماناً
بربها .. وقرأها إليه .. فقد كانت عاقراً .. فحدثت .. وحيدة إلا من
روحها .. فلما سمع مولدها .. من أجل هذا مضت المرأة على
عهدنا قرب .. شاكراً مصلية له .. وكان زوجها يشاركها الصلوات
حين تصل .. ويشاركها لشكر حين تشكر .. ويعبدها بالزهد من
الرحمة والعتاب والحب .

ولم تفسح ذكريات ذلك اليوم .. حين مضت مع الجارية إلى
البرية .. حيث الشجرة الوفرة .. والطائر الذي يرق صغاره .. ولذا
انحدت أن نذهب من حين لأخر إلى تلك المكان .. وكنوا ما كانت
تصطحب معها جاريتها .. في أكلها في مرة ما اصططحت معها
زوجها فأرث تلك الذكريات ، وحده طويلاً عنها .. وكنوا
ما كانت حبة لحسن تحت الشجرة .. تنظر إلى أفعالها .. كأنها تقرأ
على أفعالها سطوراً من أيام حياتها .. تنطلق إليها .. عليها ترى ذلك
الطائر حين يكون الصباح وهو يودع عشه وفراشه ، أو حين يكون
ال مساء وهو عائد إلى صغاره .. فهو عليهم .. يسمي الحب ويضعهم
الحب .

وتداعت أيام الحمل .. صالحة كأجل ما يكون الصفاء .. سعيدة

كأنسى ما تكون السعادة ، مشرفة إشراقة الأمل ، والحنين يكثر ،
وهي تخطه مع كل لحظة من لحظات حياته .. طيفلا صبحوا يروح إليها
نظراته الطرية ، لم تتحمله وقد لحذا حسا في بيت الرب .. يفرس
النوردة ويحلمها ، لم يمسي بها الخيال بعيدا .. فخره رجلا وهي
عكس الرب .. ويحلى مكانة فيه من فومه .

استيقظت حنة ذات يوم .. ألهظها صوت يهتف بها -

- يا حنة ، متطيني أنسى .. واسمعي مريم -

وبها كانت حنة تسمع من عبيها آقر النور .. وتندج عبيها على
نور النير ، وقد ندا لها من حلال كوة حبرتها .. كان ذلك الصوت
ما يزال يردد في مسامعها -

- سمعي مريم .. مريم .. مريم -

فالت كمن تحدث نفسها :

لا بأس .. فلنكن مشقة الرب .. إن شاء صحن ذكرا ، وإن
شاء أراد فكانت أنسى ..

حتى كان ذلك اليوم الأول من شهر بشنس .. حين أصبحت حنة
بعلامات الحمل .. هذا هي إلا لحظات .. حتى وصفت حبيها ..
فإذا هي طيلة صبحرة .. مشرفة السبا .. مسطحة الخشن .. نامرة
كالرمادة .. متلعة كوجه الربيع ، صافية كتقطرات الندى .. على
فرحها الصاعدة مصيبة .. يسر القاهر إليها ، فربما نظرتها إليها
استقبلت حنة لبها بلهجة الأم .. واحتضنتها بكل ما وهبها الله من

عطب ... فزاد إضرابه الأثمة لو نفسها ... هتريق فيها الحب ،
 وإذا هي تنظر إلى إنيها .. إلى عيبها .. إلى وجهها .. إلى لباسها ،
 فحبل إليها أنها تصمم ها ، وإذا هي تحس كأن سميات رفيعة عذبة
 تلبس بدمرها .

لم تنور عذبة كمن من اللحظات عرفت عذبة ، وهي لخص
 ابتها ... ذكريات كثيرة تستعيدنا في عيبها ، وحواظر عديدة تتوارد
 عذبة ... وتذكرت ذلك اليوم الذي قطعت فيه عذبة على نفسها ...
 يوم نظرت ها في نظها ههرا بخدمة الرب ... فكنتها اليوم قد ولدت
 نبي ... ستكون فيها حد فداء ... وليست هي ... إمرأة وليست
 رجلا ... فهل نستطيع أن نرى بدمرها ؟ ألا نبحث في وعد قطعت على
 نفسها ، ونعلم أنه كم كانت هي عذبة العهد ... نرى هل يقبل الرب
 إنيها وعذبة بدمرها ؟

فالت عذبة

﴿ رَبِّدِيلَ وَمَعَهَا أُنثَىٰ وَهِيَ الْعَفْرَىٰ ۚ أَهْلَمَ مَا جَعَلْتَ وَلَئِنَّ لَكَ فَرْدًا ۙ

كَالْأُنثَىٰ ۚ ﴾

وتركت في عيبها دمعات كثيرة ... لم نستطيع أن نسمعها في
 مقلتها ، فاحمدنا على عذبة ، فأسرعت نسمعها في هتود ... وإذا
 كانت دموع الفرح ، أو لعابها كانت دموع الخوف ... الخوف من
 أن الرب لن يقبل إنيها وبدمرها ، فما عهد القوم أن يقدموا الإناث

لخدمة البيت ولكنها .. لا تترك من أمرها وأمر بيتها غير ما شاء لها
الرب

قالت حبة وهي ما تزال تطلع إلى وجهها :

﴿ وَإِلَّا مَعَهَا مَرِيحٌ ﴾^(١)

كانت الخربة تفسى حمار سيدتها .. تظفر إليها فتجسي ما يردد
في ألسنها .. بذلك الكلمات التي تحرك على شفتيها .. فاستجسست
شجاعتها وقالت :

- هل تكن مريم لك يا سيدتي عزاء في وحدتك .. لعل الرب تغفلها
ملك ، وعاء الفرك .. إنها ودعته التي استودعتك إياها .. هذه
إليك .. فليسبحها البركة لتكون بركة لك وتقومك
عرفت حبة رأسها إلى السماء وقالت :

﴿ وَإِلَّا أَلَمِدُهَا بِكَ وَذِيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^(٢)

وسكنت .. سكنت حبة ، وما كان لها إلا أن تسكت ، فعلا
تستطيع أن تقول .. ولكن على السؤال يلح عليها ترى هل تغفل
الرب بديرها .. إنيها *

وحالها صوت ملاك الرب يهبط بها ، تطمئنها ، يقول لها :

- يا حبة .. لقد استجاب الرب دعائك .. تغفل دعائك .. تغفلها
تقول حسن وأنتها تالما حسنا

كان عمران قد قدم من المغرب ، فأقبل على زوجته وابنته ، فبعد
 هذا كثروا ، وإن كانت نفس الخواطر قد حركت أفكاره .. هل
 يغفل الرب قدره .. استه ٩ مضى إلى بيت الرب .. يقدم له
 القرابين .. لم تظر فلانا لاج بورني يسط من السماء ، فيغير قصوته
 كل ما حوله .. تعلم أن الرب قد قبل قربانه .

ومضت الأيام ..

ومزم لمخرج في كهف والديها ، تأخذ مكملها في الحياة
 كرهرة صغيرة .. تلو بعضا البعض من أعضائها الحياة .. لقد من
 عطف والديها وحباهما فقدر ما ملأت في عليهما حياتهما وإثراهما
 وبهجته ..

لكن الرب بتفكيره يعلمها ، والقدر كان قد قدره في سجلات
 المخلوق .. شاء أن يعطف الموت عمران .. فلهن بآله وأحبابه ..
 إلى حيث يجد له مكانا مع الصديقين والسيوف ..

وحزت حنة ما شاء الله لها أن تكون .. حتى كاد الخوف أن يهت
 معه سعادتها .. لولا تلك الإضاءة المشرقة التي كانت تطالعها دائما
 على وجه الصغيرة مريم ، وذلك نور الإله الذي يشع من عونها
 الصامتين .. تترب إليها آمنا ، واستر مع بعضا من سعادتها ،
 وتسي آلتها ، وتستشعر في نفسها أميا ، ونفس في ذلك كله ..
 عرا لها من زوجها

ولم يكن عمران قد ترك لروحته وابنته من متع الحياة ما يتكفيهما

في حياتها . وإنما كان ذلك أمراً عابداً بالسهة للعلم . عموماً يكون بالنسبة لمريم . الطفلة الصغيرة التي كانت ما تزال تستقبل الحياة . ولشق طريقها خطوات بطيئة وثقيلة . هي بلا شك في أمس الحاجة إلى من يتولأها برعايته . ستمها تشبه القديسين الصالحين ، ليصبح فيما بعد من سيدة الهيكل . ثم هي في حاجة إلى من يتعهد بها . يتعهد بها عن غرواها الغري ، وسعاسد اليهودية التي انتشرت في ذلك الوقت .

لشد ما كانت حبة دالة المكنو في هذا الأمر . لعلها تذكرت فيما كانت تتذكره وهي تهر المكارها . صورة ذلك الطائر الذي رآه ذات يوم يرقى صخرة . ثمراء ما يزال على عهده مع فراشه . لم تراء قد عصفبت به الحياة . مات .

أسئلة كثيرة كانت تتصارع في ذهن حبة . ولكن سؤالاً واحداً كان دائم الإلتحاح عليها . ترى هل يخلص الرب لمريم من سيكون لها خير عوض عن أمها . يتعهد بها ويوعاها . لتستطيع فيما بعد أن تنص في طريق الحياة ؟



(٤)

انتهى القوم من صلاتهم ، وما تزال رائحة البخور ، تعطر هيكلكم
الرب يشعلها ، ويصرفها عطرها إلى الخارج ... حيث جلس بعض
اليهود من رجال الدين .. يصلون لهم .. يقدمون القرابين لإلههم ..
يسألونه المساعدة في الدنيا ، والجنة في الآخرة ..

كان القوم في ذلك اليوم قد انتهوا من صلاتهم .. فجلسوا
يتحدثون فيما بينهم .. يتدارسون شئون دينهم ، وما أصاب قومهم
من صائل .. وما يصطه الرومان شعب فلسطين ..

وظل بالقوم الحديث ... حيث في ههنا ، وحيث آخر في ثورة ..

كانوا يتحدثون عن هؤلاء القوم من رجال الدين .. الذين ماخوا
أنفسهم للرومان على بعض .. فراعهم معذرات .. وأعدويها من
صانعهم مقابل سكونهم عن هذه الحوادث .. وتطرق الحديث بالقوم عن
أفراح موعده ظهور بني حديد .. يخلص الناس بما هم فيه من ظلم ..

ههنا القوم كذلك .. وصلت إلى سمعهم أصوات عذبة ..
كلمات حلوة .. قيا لصعيد الرب ، تملأها حيات في صفاء وقلوب ،
وافترت الأصوات ، كنّ حيات صغيرات .. يهيم في إثراق ..
في غيابة تسمع آمال حلوة .. كنّ مشرقا كوجه الربيع .. على
شدائهم لسماعات مضيفة .. كنّ في مركب رافع للقلوب في خطوات
فصاح ، طلمات على القوم .. منصرفات إلى أطلالهم .. كنّ يحمل

أفصلان القربون في أيديهم .. يتحلون بطقود من الأزرار على صدورهم .. كانت تخدمهن سيدات قد انصرفت بها الأوامر من حروب صبرها .. ومن وراءها القتيات الصغيرات .. يسرعن جميعاً إلى بيت الرب ، والمرأة حادة في الطريق .. آتية بيد طفلة صغيرة يتلوى وجهها بإشرافاً ومورا .

قال أحد الرجال وهو ينظر إلى المركب الشقل على عليم ما أراد طألاً حسناً .. صوت رقيق ، كلمات عدة ، وهيئات مشرقية .. ولكن .. ما أمر هذه المرأة القادمة معهن 119
قال الآخر

- أخص تلك التي ليست بدعا هذه الطفلة الفلاكية ؟

وقال الثالث :

- كأنها من نسمي ناعنيا إلى عرسها 120

وقال الرابع :

- وحق الرب .. إنها حبة بيت فلقود .. روح حمران ..

فرفع ركباً عليه الفاضلين ، وقد ألقطه كلمات صاخبة .. ثم نظر إليهم كمن يخطئ .. فإذا حبة تسرع الخطأ .. تسبق المركب ..
قال ركباً كمن يحدث نفسه :

- زوى ما أمرها 121 فزاعها حبات إلى بيت الرب تدنو هذه روحها .. وتصل من أمه 122

فما هي إلا لحظات .. حتى كان المركب قد وصل إلى بيت
فليس الرجال من كهنة اليهود .

قالت خلة وهي تدفع إليهم مريم في حجاب :
- إياها مريم .. وهبها للرب .. خالصة له ، عليك منكم من
يكتفها ..

أقبل الرجال على مريم .. وكل منهم تطرق في نفسه إشرافات
الأمومة .. كل منهم يئس نفسه أن يكون راعيا لها ، وكانت مريم تنظر
إليهم بنظرات شبة طامرة .. كمنظر صفاة وإشرافا ، فتكون عليهم بردا
وسلاما ..

تقدمت مريم نحو القوم ، وكان عطر السجود ما يزال يذكي الهواء
حارهم ، وهم يعطرون إليها .. طلة صغيرة ، لم تخط خطماها
الثلاث .. كم هي جميلة حقا .. تكفيها - فيما يبدو على وجهها -
رأيتها .. كأنها تحس في ذلك طريقة جديدة لم تسلكه غيرها من بنات
قومها .. أليست هي فادحة اليوم لتسلط في بيت الرب !!

واستطاع القوم .. أنهم يكتفل مريم ** كل يطمع في أن يعطي
بركتها ، وهذا القصر القوي الذي يشرق به حبيبها ..

قال أحدهم

- لقد كان أبوها إماما لنا .. كان رجل فضل وعلم ، يهدد العقائد
وخدمة لنا .. أمانة في أماننا .. ذكرى طيبة من ذكرىنا ، وهاهي
ذئ أمها جاءت بها اليوم لتسودها بيت الرب ..
قال ذكرىنا من مريم ..

- فأنا أحق بها ، فلتكن في كفالي ، في رعاية روحي ، إن الرب لم يمنحها الولد .. فهلا تركتم لي شرف كفالتها ؟

وقال آخر :

- بل لعل أهلها ... لقد كان أبوها صديقا لي ، وكانت له على نعم كثيرة ، وكم تسعد روحي حين تشاركنا مريم حوائطها ، فتكون أُنسا لأبناؤنا وساق .. ولكن لما ملهم عيب من العفة والعطف ..

وقال شاول .. ذلك النكاح الصغير هو الحياة السوداء :

- ربما كتبنا على صواب ، فقد تكون قرينتك يا زكريا .. وقد تكون أمة صديقتك يا أليازر ، ولكنكم نسيتا أنها .. هدية إلى بيت الرب ، وأن الرب هو الذي يمنكم ليس يكون أحق بكفالتها ، موافق إلى لأحد في نظرها أمرا لم أعيده في لغوها من حيات قوما .. فرب يحتر ظا من يشاء .. ولنشرع عليها لئلا أبق بكفالتها - وكيف السبل إلى ذلك ، والوقت ليس وقت صلاح -

فرد آخر يقول :

- هذه كلامنا ، فليكتب كل منا اسمه على قلعه ، ثم تلقى بها في هذا الداء الخلد من .. فمن حالف قلعه ، كانت مريم في كفالته .

سواء راح القوم يكتبون أسمائهم على أعلامهم .. كان كل منهم يمس قلعه ، وأسرع الرجال يلقون بأعلامهم في ماء البحر .. وكم كان مطرا دائما حيا شهده الناس في ذلك اليوم . وكانت حملة حفا تلك المشاعر التي انطلق بها وجود الرجال والنساء ، والملاحظات تخصي عطية حيا كما حسنها البعض - سرية كما حول الآخرين -

واحتضت الأكلام في اليوم... واحدا بعد الآخر - اجتمعت إلا
واحدا... ترى من يكون صاحبه ١٢٩ لم توت صبيحة أحد الرجال
وهو يد يده إلى صبيحة لقاء ، يلفظ تلك القلم الطاق وهو يصيح -
- إنه ... فلم زكريا !!

وعند الناس -

= ياك من شرف آرك الرب ... يا زكريا !!

وعند آخرون :

- بل هي البركة شاء لنا الرب أن نخل في بيتك

فأعطيهم زكريا وهو يزوج بيته في فرح :

- ولعلها طائفة خير على رجل رؤسى :

وحدثت حياة الرب حسن اختياره - طمأن مريم عونا

لأليصابات - ولتكن سلوى لروحها -



(٥)

عاشت مريم في بيت ذكربا . تعم عياله وحيات روحه ، وتعد
في رؤية أمها من حين لأخر قرحة القلب وسعادة الأمومة . حتى
شاء الله أن تلحق حنة بروحها ، ولم تكن مريم حلوزات الشاعة من
عصرها ، وحررت مريم لمرآة أمها . لكنها مشبهة الله .

وكنوت مريم ، وعما هودها ، وكانت قد تركت بيت ذكربا إلى
بيت الرب . فهي شلوبة . هكذا أصبحت عيالا في أول إشراقة
حياتها على نور الإيمان . يطهى حواء لنفسها . وكم طربت وهي
تسم سمات الحياة . معطرة بأريج الحور . يبعث من هبكل
الرب . ومع كل يوم . كانت تفتح عيالا على مرشد من آيات
حالتها ، ودليل قدره ووجوده .

فهذه الشمس اشرق في السماء كل يوم . تفتح العالم البهجة
والنور ، وتطهى آسر النهار ، ليحفظها القمر في حراره الكون ،
ومحمه من الصياء قدر ما وهبه الله . يبرسه على العالم ، فيكسر
به ظلام الليل .

وهذه النجوم الخائرة في السماء . تلقى على العالم نصيحا من
سورها . حين يشرق القمر من الظهور ، يشرق مصونها أسطر الليل
الخالق . هذا أمدح صيغ الله وما لحكمه ؟

وهذا الكون بكل ما فيه . كند إليه يد الرب . تحركه . به
الحياة . أو تحركه عن الحركة حين يشاء الله . ومريم الطاهرة .

سلسلة العطاء ... وجمعية الأسماء ، وحة الله ، إنها ليست كعقوبات
تومها ... لقد شأنت غير شأني .. إن لما فكرنا وانها ، ولما نلونا
ناحية ... إنها بعد ما تكون عن أرواح الدنيا وليس النقا .

والحدث مريم من حجاب الرب مكانا بها إليه ... ناعية ... تصل
له ، علة ، قلنا ، ساعدة ، شاكرا ، وكان الرب بها
كزرا ... وكان زكرا يدخل عليها الخراب ، فيسعد بصورها وهي
بين يدي الله ، فيطش إلى أنه صدق ما عاهد الرب عليه ، واستطاع
أن يصل مريم إلى مصعب القديسين والصالحين .

وكان زكرا يدخل على مريم في هراتها ... يسأها : إن كانت
عاجزا إلى راء عظيم به حياتها ، فليس مريم إلى ما عدها من حبر
كثير ، وعظام وعر ، وهاكه ناصحة ، فيف بها زكرا وهو في
دعته من أمرها .

﴿ يَكْفُرُ أَلَيْسَ هَكَذَا ﴾

صية وكلها نلة في ربا .

﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَزِدُّكَ مِنْ يَسَارٍ وَبَرَكَاتٍ ﴾

نعم يا مريم ... إن الله يزدق من يشاء ... من يرد أعلا لوزقه ...
شاكرا له فصلة ، وأنت يا مريم من هؤلاء الذين يشكرون ربهم ،
فيكون الرب عليك نعمه ، وليجعل منك بركة لقومك ، وليكن لك
في الوجود آية ... آية من الله .

(٦)

مسبح الرب يساه على وجه الكون ، فالخضرة الأعشاب ونبات
البراعم ، وأوراق الأشجار ، وامتلات نفوس الناس بالأمل

وأشرف صباح ذلك اليوم من أيام شهر مارس .. فاستيقظت مريم
مبكرة كعادتها .. ثم نظرت من خلال كوة بيت الرب إلى الأفق ..
فأحسست نسيم الربيع تلمس صفتها ، وشعرت برائحة الهواء
التي .. يذكيها ألحج الزهر والورود ، ثم مدت نصرها إلى ما حول
بيت الرب .. إلى تلك الرما المحيطة به ، والسهول المنتشرة حوله ..

كانت الأرض قد كساها الربيع بطوب أخضر ، وما تزال حبات
البن .. لم تستطع أشعة الشمس أن تذيبها بعد ، والنسيمات الرقيقة
تعبت بأوراق الأشجار .. وإذا الكون كله يطلق بحلال الله وروحه
إداعه .. هناك شعرت مريم ، بالسعادة لقلا حبات نفسها .. هي
سعيدة في رحاب بيت الله ، سعيدة بتلك الصور الرائعة التي تراه
فيها منبع صبح الله .. وصحبت مريم في ذلك اليوم عواطف نفسها ..
تدعوها من أعماقها إلى مشاهدة ربها .. وكثيرا ما كانت تجعل ذلك ،
فانسحبت بعيدا عن النافذة إلى حيث تفصل لربها .. تدعوه ..

- رباه .. أنت راعيي ، فلا يحزنني شيء إلا رحمتك ، ولا أجد في
ملكك الفرد به إلا ما أودعني إليه .. رباه .. معنى القوم بعيدا
حك .. لسواك إلههم .. فإزرب .. عطفك .. على هذا الكون

الذى أشرف اليوم منديرتك ، وصحبت فيه الطبيعة بقطبها بعد طول
رقاد .. فتكثرت هبوب .. أهدت القوم إلى حظوة قدمك ، كما أهدت
إلى تلك الأضطرار تورطها .. أعرس في طوبهم الأمل .. إسبح عن
قلوبهم سطور الحقد التى سطرها الأحداث على صدورهم ، كما
مسحت منديرتك على وجه الطبيعة ، فأشرف جمالا وساء .. ألهمهم
يا رب الرشاد .. علمهم أن يبتعدوا عن الشيطان ، ويلتحقوا إليك .

فما ارتفعت الشمس قليلا فى ذلك اليوم .. حتى كان زكريا قد
أقبل عليها كعادته ، يزورها ليطمش عليها ، وكان يرافقه أليعازر ..
واحد من رجال الدين ، فما لمعاها .. حتى سمعا مديحة لربها .
محلىا على غير عهد منها .. حتى ألقى من صلاتها ، فبالأها
لربها .. فيما تسلكه فى عبدا

فما كانت مريم فى صلاتها ، راح أليعازر و زكريا يندخلان فى
ذلك الأمر ، لعل أليعازر لصاحبه .

- انظر إليها يا زكريا .. بهذه الحالة من نور إلى محيطها ، ويحيط
من الإشراق بضمها ، وبور الإحسان يشرح به وجهها .. كم هى
جميلة .. !!

قال زكريا :-

- لو علمت من لربها ما أعلم يا أليعازر . لأدركت الخزي من
حقيقة هذه الفتاة ، وأنست أن لها فى الوجود شأنًا . أليست هى
أمة عصراى وحيدة داود وريثة بيت الرب !!

- كم هى مشرفة يا زكريا . لعل فى قلبها اليوم إشراقا محب . أترى

حارمة على فرجيل من بيت الرب ، وقد بلغت من العمر مبلغ
الثلثيات ؟ ثم لعلها ستطيق مشاركة .. أم إنه الحب يملأ قلبها لكس
من هي نوسها . يشاركها الحياة ، ويصحبها بالمسافة معا ؟
قال زكريا -

- ما أحسب إلا لها قد آلت على نفسها أن تقبح هذا . لا تروح بيت
الرب .. بلوت نفسها لخدمته

- بل لعلها تعطل نفس الطريق التي تتخذها الثلثيات من من
حسها .. أن تصبح روعة تبدأ بحوار روحها

- أتمنى يا أليخاندرو أن تصبح مريم لنا . تلك القلوب واليات ؟
ما أحسب ذلك ، وما أعلم من أمر مريم إلا إنها مقيمة هنا هنا ،
وما يستطيع أحد أن يحملها على ما تكرهه

ولعلنا حينئذ قد قدم يوما أحد الكهنة من شيوخ القوم وكانت
مريم ما تزال في صلبها ، فخطر إليها يوما نظرة ملؤها التقدير ، ثم
جلس يشارك زميله الحديث .

قال يوما :

- إنما أمر هذه الحياة . بحركة الرب عشيقته . كان قالت لمرها
بالأمس ، وما أحسب أن أمرها اليوم وهذا إلا تشيئة الرب
لا يؤامر به أحد ، ولا يصرف به كائن .

قال أليخاندرو ، وكأنه يصغر عن رآيه :

- لكنها ، وقد احتازرت في رحلة الحياة شوطها الأول . وها هي

على اليوم فتاة في صورة العسا والخياب .. وما أعجب إلا أنها تروى
اليوم بطبيعتها كذلك إلى تلك الحياة التي نجاها السماء .. شأها في
ذلك شأنها وأثرها .
قال يوحنا .

- ذلك رأيت .. أما نحن ، فلا نملك من أمر هذه الفتاة إلا أن نتركها
ومشيئة الرب .. نصرّحها كما شاء ..

وطال الحديث بالقوم ، وتكاثرت عندهم ، وارتفع الصبح ،
وامتلأ بيت الرب بالكثير من رجال الذين جاءوا على عجلهم
يتفحصون أمورهم .. لكن حدث اليوم أناسهم ما اجتفوا عليه
صعدوا جميعا يتفحصون في أمر مريم .. كل يقول رأيه ، وكل يسأل
عنه .. ماذا يكون مصير مريم ؟ وأي طريق تتسلكه ؟

كأنت مريم قد إلهيت من صلاتها وودعائها ، فما لست قليلا على
أهل حليا زكريا ويوحنا وبعض الكهنة ، عاركوأ حرم صلاتها ،
عقدوا لها تقواها ، ثم قال أحدكم :

- يا مريم .. لقد ملئت من الحسن طبع النساء في قومك ..
وما عرفتك إلا الطاهرة البتة الصالحة الزمّة .. ولعسا عليها لشجرة
مباركة .. لقد رأينا أن يحدث إليه اليوم في أمر لا نملك أن نملك
عليه .. لكننا سألوك .. ولا شئ عليك .. فإن طاب لك اللقاء هنا
في بيت الرب .. فهو أرحم بك .. فليمن فيه ما شاء الله لك ، وإن
رأيت رأيا آخر .. فتكونين روحا لواحد من عشيرتك المستعبدة لك

من الرجال ، تسعين سنة ، وتسعين مثاق الحياة ... وليكن أمرنا
كما كان أمر الرجال والنساء من الخلق .

صطرت مريم إلى الرجال نظرت استحياء وتسلول ، وبدا عليها
خوف من الحياة ... فكلمها ماداً لقول ، وكيف تزد على الرجال
سؤالهم ؟

كانت الشمس قد حلت في السماء ... وملائك ردهات بيت الرب
صورها ، فأصابت بصورها وجه مريم ... هذا أكثر ما يكون إثرا
وبهاء وهي تقول :

- إنما لنا أمة الرب ... نفوس نسي خادمة بيته . وعاندا بين
أيديكم ، فاحذروا لي من سبل الحياة ما يهديكم الرب إليه ... فأني
سبل أراكم في الله ... رحمتي ... وعصيت به .

هناك ... راد القوم إنا ما نكرم لقد تركت أمرها قد ... فكلمهم ماداً
يفعلون ، وقد هذا الأمر في أديم ؟

أعادت هذه الصورة إلى أذهان الرجال ذلك اليوم البعيد عند
سنوات . يوم جاءت إليهم حبة تحمل مريم . تسألهم كلفها كم
يذكر الرجال ذلك اليوم . وكأنها كانت هذه الذكريات أيسا لم
في أفعالهم . وألفظ القوم من تفكيرهم صوت ذلك الكاهن
المعزور يوسا وهو يقول :

- هذا نحن فاعلمون ؟

قال أسروني :

- يسأل الرب في شأنها

- ولكن كتبت بطرس إلى ذلك ؟

فالتفت رأس الكهنة إلى زكريا ، وقال له :

- يا زكريا - فقد قصصك الرب على مريم .. فأثبت الأمانة ، فسلم

فليس مسبوحتك ، وحمل الرب ، وإسأله ما أمر هذه الفتاة ؟ أنجبها

في التيككل ، أن تعطيها إلى ما تحصى إليها أربابا ؟

شهد صبحى اليوم الخلفى والعشرين من مارس ذلك الجمع من

رجال الدين ، وقد استمعوا بطريرك أمر مريم -

وحاجب زكريا .. يتكلم في هيكل الرب .. ثم عاد يقول :

- الرب شاء لمريم أن تصي في الحياة زوجا ولها .

مرة أخرى عاد سزال يلخ على الجمهور .. من يكون زوجا لمريم ،

وإن يتكلم عليها ملك لأحد ، نرى من يكون صاحب مريم ..

زوجها ؟

لأن زكريا وهو يصح على رأس مريم في حيات -

- أمرى ملاك الرب أن يجمع شهاب القوم وشيوخهم .. فالتكلم

كل إحد ، لمن الظاهر الرب ظهرت علامة .

وعلى القوم فقد كان كثير منهم طمع أن يظهر عزم .. كانوا

يرون فيها مظهرا من مظاهر الجمال اللاتكنى الذى يشرق في القصر

هجرة وسرور

وأنتك كل منهم مصفا أكثر من ألفي شخص ، يندفرون

علامة ملاك الرب ، يهتدون بالهدوء ، وزكريا يردد الأناشيد ..

حي طهر في السماء طائر أبيس جميل . أُنشد بفرط على القوم
 عبادهم : كَأَنَّمَا يَشَارِكُهُمْ فَرْحَتُهُمْ وَسَعَادَتُهُمْ .
 وحط الطائر على إحدى المعصي . نرى من فَا الذي انقاره الرب
 لمريم * وكم كانت دهشة الشياطين والرجال أن يكون شيخا قد بلغ
 الثمانين من عمره . . . إنه يوسف النجار .



(٧)

فالت كالمصائد والعموات تحلقها :

- تصيحك السلامة يا مريم .. حيث كان معارك ، وحيث يكون
مقاتل .

لم ألتفت إلى يوسف ، وهي تسمح مدحا ما حائط وحدها من
دموع وقالت :

- لقد أترك الرب مريم يا يوسف ، هرقى بها ، واسحبها من
المتاعب السعادة ما يلا حياتها :

وقال زكريا :

- ولا تفسدوا أن ترسلوا إليها رسلكم من الماصرة ، فإنما في حاجة
إلى من يحمل إليها أخباركم ، ثم ليكن لكم في الأسفل الذي تعاهدنا
عليه أمام الرب .. فرصة حب تفرمكما

وأجبت مريم ، وهي تودع دارها في حين كلام وأرض
حبرون .. أنها تودع ذكريات حبرون عليها ، وكما كنت لو حال بها
لقدام في هذه الدار .. ولكنها .. لا تملك من أمرها إلا أن تضي
في الطريق التي رسمها لها الرب .. مع يوسف .

كانت الطريق من اورشليم إلى الماصرة عربية على مريم .. لم تكن
مها من قبل .. وإن كانت قد سمعت عنها كثيرا .. لكنها اليوم تضي
مع يوسف .. متجهات إلى ديار جديدة لم تألفها ، وإلى حياة جديدة

لم تكن تفكر فيها من قبل ، ولا شك أن يوسف ومريم كانا يفتنيان في الطريق .. معنيين بهذه الرحلة .. إلى حيث المصيرة ، وإذا كانت الطريق طويلة شاقة .. إلا أنهما لا يشعران بالعب ، فقد شاهدنا الكثير مما أساءت به بعضا من مشاق السفر ..

فهذا ركب من رجال هيرودس .. مضطربون معهم بعضا من حياك فلسطين مساكين كالعميد .. وانصاريت الأراء حول هؤلاء القتيال .. قال بعضهم إنهم لثرون على الزوال ورفضوا دفع الضرائب التي فرضها رجال هيرودس ، ورغم أنهم عارضوا رجال هيرودس حين انحطوا راحل إحدى الفتيات الحبيلات ليسوقها إلى قصره ..

ومضى يوسف ومريم في طريقهما .. بعدان السمر حتى تصب قدماههما .. فهذان لقوا حيا .. يتجاذبان أطراف الحديث .. ربما كانت أحاديث الذكريات الماضية ، وربما كانت تطلمات المستقبل .. مستقبليهما كزوجين يسبحان معا حيوط حياتهما .. معافاة وإخلا ..

قالت مريم ليوسف :

- كأي منا سير هذه الرحلة ، كواحدة من رحلات هذه الحياة وحس قرب .. فإن لأحبها بداية طريق طويلة .. ترى .. هل يكون لنا في هذه الحياة ما كان لغيرنا ؟! لكم كان بطيب لي أن ألقى في هيكلك قرب .. عابدة قلعة .. لكن ..

- لكن ماذا يا مريم ؟! أنت سعيدة جدا الإخيل ؟!

- يسعدني ما شاء قرب لي ..

- وسأكون لك مع المروج والأبح والأب

- فليكن هذه الرحلة بداية رحلة الحياة يا يوسف

- كأنك يا مريم القحطى عن أمر يشعل ذلك ؟

- لست أشرى ، ولكن كثيرا من المصور تراه أمام عيني حتى

لكأنى أذكر ذلك الخلق الذى رآته ذات يوم ، يوم حطتها على

جنت عيسى ليلة لا علم لي بعدها ..

- فعلا يا مريم ؟

- لقد رأيت كأنى أسير في طريق طويل .. أخذت الخطا .. لا أبدا

بشرى .. حتى تلك الأكوام التى كانت توضع لدمى ، ولا لعب

الذى كان يتركس ، ولا تلك الحواف التى كانت تملأ حافطى ،

ولكنى ماضة ..

- ثم ماذا يا مريم بحق العرب ؟

- ومع ذلك مضيت .. أتطلع إلى الشمس حتى يكون الظيل ، وإلى

القمر حين يغيب الليل .. هكذا كما جعل الآن يا يوسف ..

- وسأنا بعد يا لية العم ؟

- لم أكن إلى كأنى نسا من مر قد خط إلى ، أهدت إليه يدي ،

أستك به ، تقول في يدي إلى مشعل مضى .. لم أكن حيلى

ميوذا مثله .. فرحت وسعدت .. ومضت في طريقى أسرع

الخطا .. أعتدى بالبور ..

- يا له من حلم خطيع .. لم ماذا ؟

- وجدت نفسي كأنى في حديقة خلاء ، أكنسوها حصيرة مصرية ..

أسير فيها بحدائق للاء لية صاعدة .. يحطرها شذى أرضها .. تلتأها

أشجار الفواكه ، نذلت ثمرها فأقبل الناس ، يقطعونها .. شجرة ..
طيبة

- وصلوا من القصور يا مريم *

- ليست أدري ، ولكنه مضي .. كأنما كان نوراً يهدي الناس إلى
عده الحقيقة .. حتى تسوغم ثمرها .. مضي هذا النور .. وأبته
ينفذ .. يعلو ، والناس سعداء

قال يوسف :

- لك الله يا مريم .. إليك بقية صلواتي .. لكأنني كنت أتحدث عن
أعمال الناس وأحلامهم .. ورب ليكمل إلى لأشعر بأن لك في الحياة
شأناً ..

ومضي يوسف ومريم في طريقهما وهما يستعيدان صوره ذلك
الحلم .. حتى وصلوا إلى .. القاصرة



(٨)

مرة أخرى ... جاءت القصاصات إلى وحدتها ، بعد أن ودعيا مريم ويوسف ، شعرت طراح كبير ، وهي التي حرمت القرية ، وكانت - فيما مضى - راضية بذلك حين عوصها مريم عما افقدته ، لكنها الحياة ... مايكاد الإنسان يسمع في سمائها أصبا عطية ، حتى يغشى سربها ... من أجل تلك بقيت القصاصات في دارها ... وحيدة إلا من تلك الذكريات التي كانت تذكرها مريم .

لم يكن غريبا أن تعود القصاصات إلى حبيبها .. إلى الأمل الذي بداعها ، ولم يكن زوجها زكريا بأقل غلة منها إلى الولد ... لقد اعتاد دائما - وهو الذي حظوا السبعون من عمره - أن يدعو ربه في كل صلاة صحيح أن زكريا قد طع مبلغ الشيوخ ، أسيانه الكبر .

طوى حسنه .. وعن عطفه .. عطى الشيب رأسه ، والحي كمن طال به البحث عن أمل ضائع في القرى .. لعلها ألقاها الحياة التي حملها على عاتقه خلال السبعين عاما ١١ كم من تكدل تلك الظروف التي كان زكريا يعيشها ... حسام تلك الأسماء التي يكدأ بنوه بها كعنه .. كذا تلك الآمال التي يتطلع إليها من خلال سبه الطويلة ، غصا قليل . سرجه إلى حيث أتاه وأحداوه ، ولكنه لم يحقب ولدا ، ولم يخلق قرية ، فهل يقبل الرب دعاويه ، ويمنحه إياها بحمل بعده الرية ١٢

من أجل هذا كله ... نفي زكريا متعلقا قلبه بالأمل ... لم

يستطاع التأخر أن يبلغ إلى خمسة ، لكنني يناسى ربه بعد كل صلاة ...
بدعوة

﴿ رَبِّهِ الرَّحْمَنُ الْعَظِيمُ
يَعْلَمُ مَا تَعْلَمُ الرَّأْسُ مَكْنِيًا وَلَمْ أَصْغُرْ رُبُّكَ عَلَيْكَ رَبِّ
شَيْئًا ۝ وَإِنِّي نَجَّيْتُكَ الْوَيْلَ مِنْ وَرَكَي وَجَعَلْتَنِي
أَمْرًا عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلَدًا ۝ يَرْبُّنِي وَيَرْبُّ
مَنْ عَالِي بِعُقُوبٍ وَأَجْعَلْهُ رَبِّي رَجِيًّا ۝ ﴾ (١)

وحداد يوم عيد الفصح .. وكان على ركنها أن يؤم الناس للصلاة
في بيت الرب .. وبعد الصباح الباكر .. بدأت العودة لتصل إلى المدينة
الكبيرة القادمة من شبي آتقاء فلسطين .. خروج كثيرة أقيمت على المنصة
حيث يجلس الرب .. عادوا جميعا للصلاة والتفكير إلى الله والدعاء
له

وبدأت أورشليم في ذلك اليوم ، وقد أصبحت ريشها ، وماجت
بالهبة والحركة ، وصفت شوارعها بالروار ، وخرج الناس إلى بيت
الرب عليهم يملون مكافأ قريبا من الشكل .

كان بيت الرب على صيحاته والتساعده ، وبعد رفعاته وممراته .
قد اعتلأ بالناس ، وحسرت فيه مطاعم مختلفة من شوارع القس والدينا

معا - سمعت فيه صيحات الثقلين والصحار الخاطبا دعوات
المصلين وحائلي الخاضعات ، وصراجات الأطفال .

وكان تركيزها قد استطاع معه روحه الكائنات - ليس لبحر
التياب ، وأشرف وجهه بالصفاء الرضا والأمل .

وحينا كانت الشمس تسرع في سخطها نحو الغرب - وكان
مرسها الذهبي يهبط إلى الأفق - تسحب معها حيوط ألحائها
العازية - لم يكن في بيت غرب مومض أقدم - حينا الله تركها
خطوات ثالثة إلى مضيح الرب ، فلتت فيه بعض ساعة - فقام للرب
دمجته بين نظرات الناس وتراجم الصلاة - حتى إذا انتهى من ذلك
أقبل على القوم ، معانهم وهو يقول :

- أيها القوم - احشعوا لربكم - تقبل صلواتكم - إذجروا
بمنهج لكم - برحمتكم في شئوب دينكم ودياركم .

وسكنت الرحل قليلا ، وقد استودع موقف الناس ونظراتهم ،
فأجلس بحطة عظيمة ، وراح وجهه إشرافا وهو يقول :

- طهروا للربكم - فلو للربكم .

فما لبث طويلا - حتى خطا قطع خطوات ، فأخذ يمشى تلك
المسيرة التي أنشأها له أحد خدام الهيكل ، ثم راح يصعد درجات
السلم الإثني عشرة ، ورائحة البحور نعت ذكية عطرة - يحملها
النسيم إلى كل من في البيت وخارجه ، والشمس ينظرون إلى تركيزها
وهو يصعد الدرجات واحدة بعد الأخرى - حتى إذا وصل إلى
الدرجة الأخيرة - انتهى داخل الهيكل - حيث للمكان القدس .

صالح لترك الرجل أنه أقرب ما يكون إلى ربه ، فراح يدعوهم
لكلماته .. برعه تلك التواضع التي حفظها عن ذاته وأجداده ، والتمس
من وراءه .. يرددون معه نفس التواضع والصلوات ..

لحظات قصيرة مضت على الرجل .. فيها هو كذلك أصغر ملاك
الرب ، وأخفى عن بيده .. صلاتا خيائيه .. جهازه المحدث .. أصابعه
رعداء في حسده .. حتى كادت المسرة أن تستط من ضده ، وكان
أن يمسك تلك الكلمات على شفاه وهو يقول :

﴿ رَبِّهِمْ خَشِيَ مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَائِفَةً يَأْتِيكَ سَبِيحُ الْكَلِمَاتِ ﴾^(١٦)

وكرمت وعشيت الرجل حين رأى ملاك الرب ينظر إليه .. كأنها
تطالع على وجهه سطور أماله ، وجمع من يقول له :

﴿ يَكُونُ شُكْرُ تِلْكَ الْآيَاتِ مِنْ دُونِهَا أَسْمَاءُ بِحَسَبِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي
مِنْ قَبْلِ صَبِيحَا ﴾^(١٧)

حاول الرجل أن يتكلم .. لكن الدعوة خلقت لسانه وهو يستل
نفسه .. أتمكن أن تتحقق ذلك ؟ .. يكون له غلام وقد أصابه
السكر ؟ وماذا يقول القوم عنه ؟! ياها من عذبة طال انتظاره لها ..
بعد ذلك تأمكد ركعها أنها عطيفة الرب ، فشكر له فضله على
عبدته .. لكن صوت ملاك الرب عاد يقول

(١٦) سورة آل عمران الآية (١٨) (١٧) سورة مريم الآية (٩٦)

- وسيكون سبب ... لأنه يكون عطفاً أمام الرب ولا يشوب محرراً ولا سكران (٣١).

قال ركبوا ، وقد علقت بطونهم بقلوبهم ما دعوت فرحتهم :

﴿ رَبِّ اِنَّكَ بِكُوفٍ لِّ قُلُوبِنَا وَكَفَّتْ اَسْرَارِنَا عَلَيْنَا
وَقَدْ كَلَّفْتَ مِنَ الْحَسْبِ قُرْبَيْنَا ۝ ﴿٣١﴾ ﴾ (١)

أمام ملاك الرب :

﴿ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ خُذْ مِنْ هَٰؤُلَاءِ وَقَدْ خَلَقْتَكَ مِنْ قَبْلُ
وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا ۝ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٢)

قال ركبوا

﴿ وَمِنْهَا جَعَلْنَا لَكَ نَاقَةً ۝ ﴿٣٣﴾ ﴾ (٣)

قال ملاك الرب

﴿ مَا كُنْتَ إِلَّا نَذِيرًا لِّلْأَنفُسِ الَّتِي كَفَّتْ لِّسَالِي سَوِيًّا ۝ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٤)

أخبر ملاك الرب ، وراح ركبوا يستعيد تلك الكلمات ، فلا يستطيع أن يطق بها . نرى ماذا يقول الناس * وماذا يقول الناس
عنه !؟

(٣١) قيل لولا الفصل الذي بعده (٣٢) :

(١) ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ سورة مريم الأناجيل ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨

لا بد أنهم سيقتولون عليه وعلى امرأته ، ويصيحان صيحة في
الأقواء ، وندبوا للمسحرة في محاسن الناس .. لكن الرب الذي شاء
له ذلك لم يتحمل منه

كان القوم ماثريون ينظرون خروج ركوبه من الهيكل ، وقد طاف
هم الاضطراب ، فأيقنوا أن أمرا ما قد وقع له .
قال أحدهم

- لعل الرجل قد أصبح به شيطونه عن الخروج إليها ، فسقط
مريضا في هيكل الرب .

وقال آخرون :

- هذا أنظمها من هاية .. أن يلقى الإنسان ربه وهو في رحلته !

وقال آخرون :

- فليصعد أحدهما المكان المقدس ، فليظر أمر الرجل .

ومضى الحفل .

- انظروا قليلا ، طلع الرجل قد استعذب الثوب من الله وخال
به القدوس .. لعله يدعو الرب من أعلاه .. والله الرب يستجيب
لدعائه .

وشعرت كهفانات هي الأخرى بما بدا على وجوه الناس ، وعلى
شفاههم ، وحشيت أن يكون مكرها أصاب زوجها ، وكادت أن
تدنيه .. لكنها سمعت صيحة القوم

- حاضر ذكريا قد أغفل عليكم .

ونظر الجميع أولا ذكريا قد انكس وجهه فالتفتوا من الإغفالات - الحرف ، الفرج ، الأمل - كان وجهه شامسا .. وكانت حطراته ثقيلة وثقيلة متراكمة ، وهو يهبط درجات السلم .. حتى نكث الكلمات التي اعتاد التكلم أن يملأها عقب الصلاة .. لم يستطع هو أن يطق بها أو يجيب على أسئلتهم .

قال قائل منهم :

- ما أمر هذا الرجل ؟ ولم تأخر في الصلاة ؟ ما هكذا عهدنا بالتكلم ؟

وقال آخرون ، وماترون عيونهم شامخة إلى ذكريا -

- لعله أطول لحيته

لكن الرجل لا يصعب ، لا يستطيع أن يزيل علامات الإستهزام التي ترقص أمام عيونهم .. كلهم يتساءلون : لكن الرجل صامت لا يتكلم ، وما كان ذلك إلا تمسحة الرب أو لم تكن آية إلا يتكلم الناس ثلاث نيات سوية .

ولاشك أن هذا الصمت قد صاعق دهشتهم وهو يشع إليهم أن يستمروا في صلاتهم .. عند ذلك أبهى القوم أن ذلك أمر واحقد آخرون أن الرجل حاضر عن الكلام .. لكن هؤلاء وهؤلاء أجابوا الكاهن إلى حلقه ، مضوا في الصلاة .. يسبحون ويشكرون

حاضر ذكريا لم يكن .. تصحبه روضة الهفافات وبعض من أهل

قوت إلى داره ، عما نهيت الأيام الثلاثة حتى عرف الناس من أمر
الرجل ما حتى عهده وعرفت إمرأته تلك العنبري التي حملها إليه ملائكة
الرب .

فالت أليصابات وهي تسبح من روحها بعض مخلوقه :

- ليكن مشيئة الرب عني كل مشيئة :

عما نهيت بيعة أيام حتى لحست بأعراس الحمل ،
فاستشرت ، وحمدت ربها أن استجاب لصلواتها



(٩)

كان يوسف يعمل نجارا في المصيرة .. فقد انعمه حاتمنا فرؤول
 به عمله .. مكسب لونه .. سعيد بذلك ، وأكثر ما تكون سعاده
 العوز مريم سخطه . حين يعود إليها بما أفاض الله عليه من رزق ،
 فيجد عندها ما يطلع صدره .. يبدأ إليها .. يا حبيب .. يا حبيب ..
 تحسبه حبيبها .. قلبه القوي طاعن .. يندفد بها أحلى أنفثات
 السموات .

وكانت مريم - رحم طرق المس بها وبن يوسف - سعيدة
 باختيار الرمن لها ، فاعة بما وهبها الله من فضل نعمته .. تفضي يومها
 في عملها الذي انعمت عليه كثرات من قومها .. حيا مع عمها ..
 تشاركها طهي الطعام لها ويوسف .. وحيا تضي إلى معزها ..
 تحركه ، شعول حوطا دقيقة رائعة .. عليها تكون ملسا يدراً عنها
 وهي يوسف برد الشتاء ، وكثيرا ما كانت تنصب إلى بحر القرية ..
 تصطحب معها بعض من الفتيات إلى حيث يفلأ حرارهن بالماء ..
 يظنون مرحات سعيدات ، فإذ ما انتهت أعمال الشول .. عدت إلى
 مصلاها .. تاجي ربا .. تدعوه .. تشكره .. فيكفها سائر الشهادة
 مريم ويوسف .

حتى كان ذلك .. حين ذهبت مريم مع من ذهبن إلى بحر القرية ..
 سعيدات بأفصاين .. يندفدن .. يندفن من أفاض في أرواحهن
 أولادهن .. وذهبت الفتيات سعيدات عاكفات بحرارهن . لكن

مريم - لأنهم تشابه الرب - تجاوزت بعض الشيء، وهي تفلأ وحاديها .
 ثم لعل لعلها دفعها إلى أن تتأخر عن ربيعتها . حتى وجدت نفسها
 وحيدة . شعرت بشيء من الخوف .

حيثما هي كذلك تذكر في أمرها . إذ ألبسها على جبل فروع .
 مشرق العليا . . . لحظ به حالة من نور يقول لها -

- مشاركة أنت في النساء ^(١٦) .

كانت كلمات القديس مفاجأة لريم ، فأحسست بالخوف والفرح ،
 وألبسها ما يصيب حالة خاطرة . حين يلتصق عليها وحدها غروب .
 يخبره عليها ويصعد عليها مراتها ، وحاولت مريم أن تغطي نفسها
 لعل القديس الذي رآه محروم لوعام . حيلالات . لا . لا . إنه ملوأل
 ألبسها . . . به لسة روحانية ، ووجهه صمأ لراه به برابة وظهارة .
 ومع ذلك صمأ زال السؤال يلح عليها . يخبرها . ما أمر هذا القديس ؟
 وما حاجته ؟

(١٦) فَأَلْزَمْنِي أَشْرَافَ الرِّجَمَيْنِ وَبَلَدِي كُنْتُ نَوْبِيَا ^(١٧)

لكن القديس ملوأل واقفا ، ومملوأل بطرقة تصعد إليها وبفلسفة
 كثيرة لعل وجهه . تغطيها ، شعرت بشيء من الرعدة وكان لسانها
 ملوأل يلح بذكر ربيها ، كأنها ترجموه اللجاة . . . أن يصطليها من
 الضيق ، فإذا القديس يقول لها -

(١٦) أصل لونا الضيق الأول بطرقة (١٧)

(١٧) سورة مريم الآية (١٤)

﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَانِيًا ۝١١﴾

راحت مريم لتحصن الكلمات : رسول ربها ، ملاك . . . حاد إليها صرخا به .. ولكن ما أحببت مايقول .. أن يهبها غلاما ؟؟
بالعجب !! الغلام لما وهي ماثول حذرته لم يتسبها بشر ، الغلام لما وهي ماثول تكبرا لم يتصل بها يوسف .. ألهكن أن يكون لما غلام بلا أب ؟؟ وملا يقول القوم عنها ؟

قلت مريم تاهي رجا :

﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْ بِي سَمَرٌ وَلَمْ يُنَاقِ ۝١٢﴾

وجاءها صوت ملاك الرب :

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَوَافٍ هُونٍ ۝١٣﴾

﴿ إِنَّا بَرَأْنَاهُ مِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ ۝١٤﴾

واقرب ملاك الرب من مريم ، واثول صبرها يضطرب حورا ورعة ، لم يفتح في حبيب نوحها ، وثاق ؟

.. وهاعى دى الكلمات سيك .. هي أيضا حيل بارى في شبحوحها ، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا ، لأنه ليس لمرء غير ممكني لدى الله ^(١١) .

(١١) سورة مريم الآية (١٦) .. (١٢) سورة مريم الآية (٢٠) .. (١٣) سورة مريم الآية (٢١)

(١٤) التعليل لقصة الفصل الأول (٣٦) ، (٣٧) ..

لم ودعها ملاك الرب ، أحسن صلاتاً ، لكي تصوات ما تزل
تلقاها .

﴿ يَتَرْتَمِيمُ إِنْ أَقَامَ تَطَهَّرَ وَخَلَّصَ لَكَ وَتَطَهَّرَ ﴾

عَنْ يَسَى الْغَلْبَانِي (١١) يَتَرْتَمِيمُ الْخَلْقَ بِرَبِّكَ وَتَطَهَّرُ

وَأَنْتَ بِمَعْرِفَةِ رَبِّكَ (١٢)

لم تزل مريم كما من الوقت حصص عليها ، ولكنها عادت إلى دارها
بعد ذلك وهدأت إلى ربها . . . تعلق له . . . حتى إذا انتهت من
صلاتها . . . شعرت كأنها تسبحاً ملأها بلاءاً عليها ، وأن بوراً ربها يلف
منازلها

وتذكرت مريم خطيئها . . . ترى ماذا يكون لمرء معها ؟ وكيف
لمرء بما حدث ؟ وهل هو قصدي لما ١١٢ أترام يملك عليها . . . ألم
يسفر بعضه في رحلته وكرامته ، يسر عنها ؟ . . . يحل عنها . . . يسر
العهد الذي قطعه على عبده عبد هيكلي الرب . . . غاي صبر حنون
لها ؟ . . . وأنس به ، لئلا السوى ، وحسن للشورى ١١٢

وتذكرت مريم ما ملاك الرب من أفضالها ، وكيف استجاب
الرب لدمائها فحصلت . . . كذا كانت لما أما وكان ركوباً روحها لما
لما ليس غير أفضالها تستطيع أن تكاملها سرها

هذا فرقت مريم أن تذهب إليها ، لتكاملها حقيقياً ، ولكن لها

معاً لقاء ، وحدث

(٩٠)

جلست أليصابات ذات يوم ، كعادتها في صحن دارها ، تفكر في أمها ، وكان الحبل قد ثقل عليها ، ولعلها بدت مريم ، ولم تكن تعرف من أمها شيئا منذ هودنها وتوجهت إلى القاهرة ، وراحت تسأل نفسها : ترى ما أمها ؟ ثم ترد لو كانت مريم تحبها لراسها في وجهها ، ولقب عليها ساعدا ولايتها ..

وما لبثت المرأة طويلا في أفكرها حتى سمعت صوتا يناديها :
صوت دقيق - إنها مريم -

أقبلت مريم على أليصابات تحبها ، وأقبلت هي الأخرى على مريم ترد تحبها .. تحية السلام والحب ..

ومع أن مريم كانت مبهمة من السفر وطول الطريق .. ومع ما كانت تعانيه من خوف .. إلا أنها سمعت بعض آلامها .. وقرحت كل ميمها بالأخرى عرجا نالا عليها تلك اللحظات الطويلة التي انقضت على أليصابات مريم ..

لكن أليصابات ربما بدا على وجهها - في دهشة - ترى ما الذي بدعتها ؟ أهو ذلك اللقاء الماضي ؟ ثم ترد ذلك السؤال الذي يلح عليها ؟ ومريم هي الأخرى في دهشة من أمر أليصابات التي بدا عليها مظاهر الشك والحيرة - أترأها قد عرفت سر حملها ؟؟

ذات أليصابات ومآول الشك يبدو عليها -

- نحن الرب ، ألا ما حدثتني يا مريم عن حفيظة أمرك ؟

قالت مريم في حجب :

- ذلك ما حدثني عن الفراء إليك ، عرفت موسى ويعقوب ما وجدت
أحدًا غيرًا منك .. أهدأ إليك .. وأنتك حفيظة نفسي .

قالت أليصابات ، وقد كثرت الفحشة على وجهها :

- هو كذلك يا مريم .. لقد كنت أذكرك قبل قد علمت .. ولكن
أعني أن يكون طي حفيظة يا مريم .. فدعني ما علمت من أمه ،
وأرعى عن تلك الأسرار التي تحجب حفيظة لود في أمورها منك ،
سؤال يخبرني بعد دخلت على .

- وهل لي أن أكنم عليك سرا ؟

- تحدثتني يا مريم ، وأبعدني القول .. قلت حامل ؟

ف نظرت إليها مريم نظرة طويلة ، ثم قالت فيما يشبه الصمت :

- فكيف عرفت ذلك ؟

وسكنت أليصابات ، وسكنت مريم ، وكل منهما تتذكر في
الأمر .. لكن أليصابات عادت تقول في غمط :

- أنت حامل يا مريم ؟ أخبريني الحقيقة

- هو كذلك .. ولكن الحق موسى ويعقوب ما علمت العهد ،
ولكنه الأمر قد لا أعلمك رده ، وهذا ما حدث اليوم أحداثك فيه .

- بهذا حدثتني نفسي ، بعد دخلت على ؟

- فكيف عرفت ذلك ؟

- أحسست من في عطفي بركعتي من في بطنك ، وذلك بعدد
 ل . مشاركة أنت من النساء بالمرم ، ومشاركة لمرم بطنك^{١٢}
 قالت مريم :

- فكانت أجد في كلماتك إجابة لسؤال -
 - وأي سؤال بالمرم ؟ فكم بطنك في أن أحقق لك ما يسعد
 نفسك .

- ليس بالجميع حقا ، ولكنه أمر بدور في عطفي لم تأكدت
 حقيقة - لقد كان ملاك الرب مبدعا ، وما عهدي به غير ذلك
 لم تكن أخصائيات تعرف شيئا عما حدث لمرم - هي سر حقلها ،
 فقلت في ذهني -

- ملاك الرب^{١٣} دائما نقول بالمرم ، ونعطا أياك ملاك الرب^{١٤}
 وأنت مريم نفسك في أخصائيات ، وقد عليها شيء من
 بكاء ، وهي تقول

- ذلك ما علسي على أن أطلع الطريق ، طريقة شاقة لأصل إليك -
 كاتب هذه البقاء قد أنسبها بفسيفساء ، وكأنا ما تزالان في صحن
 النار ، فيما سمعت أخصائيات كلمات مريم - حتى أعدت مبدعا إلى
 الداخل حيث تستمع بها حقيقة ، بما عدنا حتى قالت مريم :
 - بطنك نفس الرب ، وتطلع رؤس باقة علسي ، لأن نظر

(١٢) أصل لمرم الفصل الأول جزء (١٢)

إلى تواضع أمه ، وهو ذا سد الآثام تطوَّس جميع الأسباط ، لأن التقدير أصبح في نظام ، وأصبحت الكنيسة ، ورجعت إلى أعيال وأحبال للناس بقربها^(١).

ثم أعدت مريم تحكي لأببصافات ممالك من أمها مع ممالك الرب يوم ظهر لها ، وأبأها بدأ حملها روح من رها ، ثم كيف أحمرها حمل أببصافات ، وكانت أببصافات تسطيع لرم ، وصور كقوة لقراوى أعلام حبها ، صورة روحها ركرها ، وما حدث له في شكل الرب يوم عيد الفصح عند نصفه شهر

كان الحديث سبعا طويلا .. حاولت أببصافات أن تسبح عن مريم بعض مملوحتها وهي تقول

- مبدئي يا مريم ، لقد حسنتك قد اقررت يوسف ، فأصبحنا زوجين قبل أن يمس الأجل الذي تعاقدنا عليه

- كلا ، هذا لما على العهد ، وما لوري ماذا يكون شأن يوسف حين يعرف الحقيقة .. ذلك ماؤورقي ، فهل لك أن تتوي لي الطريق^(٢)

- هو كملك يا مريم ، لقد كان الرب معك دائما على يدك معك ، وأنت الفتاة الطاهرة .. العادة .. سبلة يعقوب .. مباركة أنت من النساء يا مريم ، ومباركة هي ثمة بطلب
تصل ركرها .. هذا مريم عند زوجها ، تسعد ملقاتها ، وسعدت

(١) تعال لربنا نسمع الأول فقرات ٥٦ ، ٥٧

فلما كان ذلك .. لكن الرجل فيما بدا على وجهه كان في دهشة .. لقد سمع ما كانت تقول روحه .. مازكة أنت من النساء يا مريم ، وماركة هي ثروة عطيك !! وطول الرجل أن يصرف نفسه عن التفكير ..

عجل إلى زكريا أن يوسف قد انفصل عن مريم .. أن شجرحته لم تمنعها أن تكون روضة .. لكن مريم لم تؤثها أفكار مات قوما ، طمأنا جعلت ذلك .. بلقا لرفض إختيار الرب لها ؟ لم يادا عن حيلها وثرة عليها !!

والمررت أليصابات ما بدا على وجه روحها ، فأسرعت فعدت عن حيلة مريم : عن ملاك الرب وعن خوفها من يوسف .

وبدا كان زكريا مؤمنا بولادة مريم وطهارتها .. لكنه كان يخافها حيلها من قوما فأخذ يطمس خاطر مريم بخطف عنها مخاوفها .

قال زكريا وكانت ما تزال مريم تنظر إليه كأنها تنظر حكمة بولها -

- حولى عليك يا مريم ، ولصحتك الله الطمأنينة .. إلى ذلك يدكرى سورة الشعراء التي والرب يحفظكم ثلاثة : ما إن العذراء حمل ولدت لها^(٢٢) .

ولدت مريم أن بيت زكريا .. تشارك أليصابات وروحها حياهما ومصلتهما .. حتى كان ذلك اليوم الذي وصفت به أليصابات ولدها .. نهي أو روحها طمأنات الفرحة أرحاء الفلر ، وسعدت

(٢٢) انظر من الفصل الأول الفقرة (٢٢)

الحيوانات وسعد ركوبها ، وسعدت معها مريم ، فليد لأكدت أن
ملاك الرب كان صادقاً في بشره لها .

فما من إلا أيام قليلة ... فاستردت الحيوانات قوتها ، فودعها مريم
عائلة إلى القاهرة ، ولقد فررت في مصيبتها أمراً .



(١١)

لا يستطيع مريم أن تنكمر عن يوسف سرها ، فهو خطيبها ، فلماذا
من أن تكافئه حقيقة أمرها ، فإن شاء وقف عليها ، وإن شاء عطف
عليها . لكن مريم . لا تدرى ماذا تقول ليوسف ، ولكن هو الآخر
في حيرة من أمر مريم . أكثر من علامه استلهم نشو أمام عيبه
تؤرق لهكواه . ترى .. ما هذا الذي يبدو عليها ، هي ما تزال عذراء
ولم يمسه بعد ؟ إنه خطيبها ، وهو أكثر من عرفها ، يعرف عيبها
الظاهرة ، الاستقامة . لكنه يرى عيبه ما .. دهشته .. أليكني أن
يكذب عيبه ؟ وهل يطاوعه قلبه أن يقيم مريم في طهارتها
وعملها 119

وفر يوسف في نفسه أن طلع مريم على سريره . أن يصفح
لها عن حواظره وشكوكه ، وكانت مريم هي الأخرى قد قررت أن
تزوج ليوسف سرها

عاد يوسف ذات يوم . ونصب الباب قد أليكه ، وألشك قد
أليسه ، عطف على مريم بقلبه وأخذه ، ولكنه كان يحس أن سقط
أليسه ، ولا عطف مريم ما يعابه يوسف ، فالتفت منه وأبانت
أليساتها بور الإيماء في طيه ، حتى كادت أن ينفذ فيه طوقه ..
لكنه لم أن يصيح عفا لأفكواه . فقال لها :

- مريم ما أليه الغم .. ليست أليرى كيف أليك شيء حرمت عفا
نصي أن أليته في نفسي .. لكنه أقصر مضجعي ، وعطفي على

أمرى . فهل لك أن ترعى هي أستاذ الجيرة التي تظلل لشكري ؟

- لك ما تشاء يا يوسف . جدي عني الرب ما يؤرقك .

- صعدني يا مريم . ألكي أن يست سأت بعد طرفة ١٨

فألت في ثقة .

- نعم هو كذلك عني الرب .

وعاد يوسف طول .

- ألكي أن تسمو شجرة بلا ماء ١٩

- بعد هو كذلك وعني الرب .

هرعد يوسف ، وعلول أن يسكت ، لكنه استمع شجاعة
وقال :

- فهل يولد ولد بلا آب ٢٠

بعد ذلك أمركت مريم ما يصبه يوسف . لكنها لا تلك إلا أن
تعيه على مؤامه طالت .

- نعم يا يوسف .

- هم ١٩ ماذا يصح يا مريم ؟ أولد ولد بلا آب ٢١

- ألم تعلم يا يوسف أن الرب خلق آدم من عو أن لو أم ؟ أليس
الله على كل شيء قدير ؟

طو يوسف إلى مريم طرفة طوية ، وهو يذكر كتمليها ، طرب
قد خلق آدم بلا أب ولا أم . هذه حقيقة . ولكن على أن
تكون طوية حقيقة أيضا ٢٢ قد تكون مريم صالحة في دعواها . لكن

أمرها بفعل ذلك حتى اتقى حيلة الذي يكره في تعبته ١٢
عرب عليها ، ولكنه لا يريد أن يكون حديث قومه

وشعره مريم ما طور في ذهن يوسف ، فاحت المحكي له
ما حدث لها يوم جاء ملاك الرب وبشرها ، ثم ما كان من أمرها
مع الكهنة ، وكيف كان ملاك الرب صادقاً مع تركها بشراً

أحد يوسف يمشي نفسه ، إذ كانت مريم صادقة فيما لقوه
صادقة يكون أمره وأمرها من قوما ٩ وماذا يقول الناس عينا ٨ .
لن يرحبها الرجال والنساء من كلمات السود ، مستهزئ مريم في
عليانها .. ويستذكرون حل يوسف رجوله يا لقوة الظروف ١١
لله رفض حيلة مريم من قبل ، فهو فوج باهر السجين ، وهي علة
ما تزال في وضع عمرها لكنها مشقة الرب .. ترى ماذا يفعل
يوسف ٩ . كم يظنه المتكبر ومريم تنظر إلى وجهه كما ينظر إليهم
الواقع من رايته إلى ذلك القاسي ليعطي رواية . لكن يوسف كان
فاسداً في حكمته ... ظفر أن يتركها ، يعلينا .. يقطع تلك فرائط
التي تربطها .. إنها حامل وإن يعلينا يجب سيخرج إلى الفرح
بكتف أمرها وبذلك سرها ١١

وكان يوسف - وما تزال نفسه من حبه في قلبه لمريم - حرصاً
على ألا تصبح سرها ، ظفر أن يفعل عينا سراً .. طبعها
القصيدة .. إنها علة طيبة ولا شك ، فليكن قلوب معها إن كانت
برقة ، وليعبر لها إن كانت قد حانت الصواب ١١

وبنى يوسف وحده يكره في أمره ، وكانت مريم ما تزال تحاول

ألم تخلف عنه حول المصاحفة .. فكيف لا ندري شيئا عما يجري
عندها .. ثم هي لا تملك إلا أن تهرع إلى رها .. تصل له .. تدعوه
أن يصرف عن يوسف محاولة وشكره

واشتد يوسف .. مضى في طريق لا يدري إلى أين يسير ..
ولا كيف ينتهي .. المصير ..

كانت الشمس ما تزال في السماء .. ترسل على الكون عصا من
حرارتها ، فجلس يوسف تحت ظل شجرة .. ظل يحد فيها برد
الغداة ، فيها هو كذلك .. لعب البعض بحبه لحظة لا يعلم مداها
إلا الله ، فسمع صوت غائب يهتف به ..

- يوسف يا ابن داود .. لا تحب أن تأخذ مريم إمرأتك ! فإن
الذي حملت به هو من قروح القدس ، وسند إليها بخلص شعبه من
حفظهم^(١) ..

استيقظ يوسف من حلمه : أبلغته سمة راحة .. صت على
وجهه فمسحت عن عيه آثار حلمه .. لكن صوت الغائب كان
صدا ما يزال يردد في سمعه .. بأمره أن يسلك على مريم

وعاد يوسف يفكر في الأمر ، وتذكر عصا من تلك الكلمات
التي قرأها في التوراة .. تذكر ما جاء في سفر أشعيا النبي : ها أنا
العدو أقبل وتلد ابنا .. إياك .. فقد اقتضت النبوة .. وعنده هي
العدو مريم ، وعنده سيكون ولدها نيا .. فكيف تقول النبوة ،
وهكذا قال ملاك الرب لمريم يوم بشرها ..

(١) متى ٢٣ - الفصل الأول التوراة (١٧ ، ٢٠ ، ٢١)

لم يجد أمام يوسف إلا أن يلقى حل مريم - مرفوع رأسه إلى السماء ، وقال وهو بأحد طرقه تلكا إلى مريم -
 - معم - سأحفظها العهد - كنهك يارب أني سأكون بجانبها فمرا
 عنها كل مكرره - حتى إذا ولدت إسما كنت لها ومعها كلاهما
 بسلامة والصلاة .

وبها عقد يوسف إلى مريم - وحدها ما تزال تتألم ربا .
 فصل قد فاعرها ما كان من أمره وأنه ما يزال على صفة الذي أعاده
 عليه الرب -

هناك - أحست مريم أن رحما الرب تنامها في سطوقها ،
 فسقطت بينها تدعو ربا :

- ربا - لحقت حكمةك ، كنت راحي ، ملا معروني شيء - أمرت
 لي طريق حياتي ، فتكن معي دائما - فتكن عوني - حتى بأن
 أمرت ، وتخرج إلى الوجود كلمتك

كان يوسف ينظر إلى مريم نظرات حيرت حبالا عليها ، وإذها بها
 عقد رأى اليوم صورة جديدة أكبر من تلك التي عرفها من قبل ،
 وكان يطالع في صفحة وجهها سطورا مألوفة بوز الإكثار - حتى
 إذا أدبت من دعاها ، استبهرها ، مؤكدا إيمانه بها وقدره لها وجهه
 حيا بخوبه الأمل ويشرف به الصلاح - هناك من حب ، وما أعظمه
 من رباط يربط بين مريم ويوسف

(١٢)

أحسنت مريم كأنها خلصت من كاهنها حبلا كان يظلمها ، فقد عرف يوسف كل شيء ، وآمن بوالدها ، وامتدأها معا حياتهما التي أنجها في البصرة لمريم - كعادتها - تقضي يومها في طاعة الرب ، فإن حلت إل نفسها ، أسكنت بمرحها بيتا لسانيا ينفذ بذكر ربها . وهي بهذا وقالت سعيدة راضية

لما يوسف .. علمه كان تقضي يومه في عاقوبته الذي اتفده على مقربة من داره ، حيث يلجج بعمله كمنجار .. يكتسب ثوبه ، ليعود إلى مريم آخر النهار بما أقام الله عليه من رزق

عاد يوسف ذات يوم إلى مريم ، وقد دبت على شفتيه طبع كلمات يريد أن يطق بها .. لولا أن شفا ما يجعله يمسكها ، فأدركت مريم بشفافية إحصائيتها ما يبدو على وجهه ، فاستردت

أحسنت يا ابن العم ، تريد أن تخدشني فيه ؟
- هو كذلك يا مريم ، ولكن .. عن الرب عزى أحسن أن يكون فيه ما يفرحت .

- إنما كل شيء مشبهة الرب يا يوسف ، ولست أرى في مشيئة إلا ما يرضاه لي ، فحفظني عما شئت .
قال يوسف :

- لقد نادى النادى ، وأحدث الناس اليوم بأمر الوالى .. أن يسجل كل واحد اسمه في سجلات أعدوها لذلك

- ومثلًا يهدف التوالى بأمره يا يوسف ^{١٩}
 - إليها مدينة سيده أغسطس ملك روما - أن يكتب كل الشعب
 في مسكوكاته
 - ومثلًا يا ابن العم * ما أرى في ذلك بأسًا

فصاح يوسف بيده على خياله ، وتزود قليلا ، ثم قال :
 - إنما نحن من مدينة داوود ، ولابد أن يكتب في مدينتنا - في
 لورشليم ، والأمر فيما يبدو يصعب تحقيقه ، وأنت على وشك أن
 تصعب نفسك وهذا ما يلقى حائزري
 قالت مريم في ثقة وإيمان :

- إنما هي رحلة إلى ديارنا وأهلنا في حبرون ولورشليم وعين كازم
 وبيت لحم لطفاً بهم هناك - نعرف من أسودهم ما نجاب هناك - كم
 أشعر بحزن إلى بيت غرب - إلى الهيكل المقدس ، أهيئ في حبرون -
 علم يا يوسف ، فأنى أرى في ذلك حرجاً -

ما من إلا أيام قليلة - حتى كانت مريم ويوسف يشدان الرحال
 في طريقهما إلى أورشليم - يشتركتهما في رحلتهما كثير من هؤلاء
 الذين خرجوا منهم - حتى امتلأت الطرق والأودية بالسافرين

كانت الفجوع العظيمة من الناس - يسافرون في طريقهم -
 يسامرون ويحدثون - أحاديث كثيرة - ربما كانوا يحدثون عن
 ذلك التوالى الذى كُتبتهم كثيراً من الشاك - وعن هيرودس ثالث
 الحاكم للأروسة الذى يذبح أهل فلسطين العظيم ، وأهل بعض هؤلاء
 المسافرين كانوا يحدثون في دمهم وما أن إليه أمرهم قد أعملوا تعاليم

رحم ، ولعلهم تحدثوا عن ذلك الطير الذي نشر بين الناس عن قرب ظهور من جديد .. تعود بالشعب إلى الطريق السلام .

ما هو ذا يوسف مدام مريم ، وهو تمسك بقوة ذاتها جينا ، وآخر يبعثها .. يبعد عنه من أهل راحتها .

ومع مشقة الطريق ووعورته ، ومع ما كانت تشعر به مريم من تقلب حلتها .. إلا إنها كانت تحد في كل شيء صبرة من إبداع عائلتها .. بهذه رهرة جميلة .. لتأنيق فوق عصبها في إشراف وحمل كأنها تبسم للعالمين والراضين .. وذلك سنة ألفت .. بالأمس مرة .. فصار اليوم سنة أعظم وهذا فرح رهرة يفرح عطر شداتها ، لم تفرط بطلب مداتها ، وهذه الشمس في السماء كانت في الصباح الباكر تروى إلى العالم من خلال شرفها ، ثم أخذ فرحتها يكثر ويبدأ الكون نوراً وجلاء .. يكسوه كساء نصفاً حياً ، ودعياً لأما حياً آخر .. ثم هي بعد ذلك تمل نحو الخشب .. لتجده إلى مستقرها ، تسحب معها حيوط أشعتها الطرية .. لتلمسها كما تلمس العروس بأطراف ثوب عرسها ، وتبني من الخشب يعطي حبيبها ، والأمل عملاً ملوب الناس في أن تعود إليهم في اليوم التالي . وهي أكثر ما تكون إشرافاً وعمراً وبراءة .. ألا ما أمدح حكمته الله وما أعظم قدره !!

وعندما وصل المركب إلى مشارف مدينة القنود مع عروب الشمس .. كانت مريم ويوسف قد أجهدهما السفر وطول المسير ، وما كالا يصلان إلى الخيم حتى حطوا راحتهما ، لسترها ظلالاً ،

وأفعلن يوسف على مريم ، فقال لها إلى كهف صغور اسرع فيه ..
حتى يعود إليها

غطت الشمس إلى مغربها ، وأقبل الليل ، فبسط أردنيته على
الكون .. ولم يعد يوسف من القنينة .. فأحسست مريم بالوحدة
والغروب .. لولا ذلك الصوت التي ترائى لها .. يطمئنها .. تكن
شيئا ما .. ليس به ، ولم يكن لها به سابق عهد .. إنها علامات
الطعام التي تشعر بها المرأة حين يغرب موعده خروج صبيها إلى
الطريق ..

إذن فقد أصبحت مريم على موعد لقاء مع إنها .. وما هي إلا
الخطوات .. حتى يشرق على العالم بيورها .. أنيس هو روح من الله
وكلهه .. فيها هي كذلك .. سمعت صوتها يناديها -
- لا تأس عليك يا مريم ، فإن كان يوسف قد تركك ، فإن الرب
معه ..

بعد ذلك رفعت يديها إلى السماء في صراخة .. نشكر ربها ،
فأبصرت جدح طلة قائمة على طريقه بها .. فخطت إليها خطوات
مطلة .. حتى إذا وصلت إليها .. إلى النحلة .. راحت لتخصها كلها
أحسست بألام الطعاس

أقبل يوسف ، ولم يكن قد استطاع أن يعثر على مكان في القنينة
للزوجة فراحه منظر مريم والطعاس يبرها ، فأدرك أمرها ، وأسرع
عائلا إلى القنينة يبحث عن قنينة لمساعدتها في أمرها

ومرة أخرى عدلت مريم إلى وجهها ، ثم شعرت كأن سحابة
كبيفة من الطوفان تراحم في رأسها . لقد تذكّرت نومها مستودع
إلهم ومعها ولديها .. دليل حرقها حسب طوبىم ، ترى ماذا
سيقولون لها وماذا يقول هي لهم ؟

قالت مريم في نفسها :

﴿ يَكْفُرْ بِمَا فِي يَدَيْهِمْ قَبْلَ هَٰذَا لَوْ سَخِرْتُمْ أَنفُسًا تَفْسِدُونَ ﴾

لا تأمر عليك يا مريم .. فارتد قد شاء لك الحياة .. ليكون لإيمانك
شأن كبير .. رسول الله إلى قومه .. يهديهم الطريق المستقيم

ولفت في الأنف حافة من القور .. أحيات كل ما حول مريم ،
وفي تلك اللحظة انفصل عن مريم حبيبها .. طعنا حبيلا .. بنسب
لأمة إسماعيل مشرفة .. ملأت كل ما حرقها إشرافا وحياة

وانطلقت مريم ولديها شهقة الأمل الحانية ، فاحصتها بين حراويا
وما يزال القور يضيء ما حولها ، وانصمت له .. انصامت لودعت
فيها كل ما أحس في قلبها من معنى الأمومة ، لم تظلمت إلى السماء
كأنها تبارى ربا .. ولشد ما كانت دجشبة حين رأت النحلة التي
كانت يابسة من الحطاط .. قد استعالت منقرة الرب .. إلى شجرة
باسقة .. إخطرت العصا .. وتذلت ثمارها على غير موعد

ماذا .. يا الحكيمه ! كم تشاقق نفسها إلى حبات البلح .. تعوض

ما قلناه من عهد الخامس ، فهل تكون ثوب رحيمة بها ، فيتركها
بعض منه ويصنع قطرات من الماء ؟

وكأن الثوب يجري كثرها . حين عليها صوت ملائكة ينادي :

﴿ قَدْ دَخَلْنَا مِنْ قَبْلِهَا أَلْأَنْحَرِي قَدْ جَعَلْنَا رُبَّكَ قَعْدِي مَرِيًا ۝١٥﴾

وَقَرِيَّةَ الْكَلْبِ يَصْنَعُ الْخَلْقَ نَسْفُطُ عَلَيْكَ رُبَّكَ حَرِيًا ۝١٦﴾

فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَغَرِي عَرِيًا ۝١٧﴾

وقلت مريم حائرين : « فرائد يديها الواضحة تمسك
بالخلعة ... مزجا فرائد حبيبة ، فإذا فرائد الشبح الرطب تصاعد
عليها ، حمدة يديها وبأكلها ، حلوة ، طيبة المذاق ، ثم انظر عند
قدميها ، فإذا جدول صعر ... يساق دافء حمدا ، فارتوت بها شاء
لها الله ، واستعافت بذلك بعضا من قوما ، فقامت إلى إيلها ،
وعسلته ، ثم قنطته ، واتصفت به إلى مرود طر ، فالتفت من أرمه
له مهذا ، ومن سلفه عطاء . كأن ذلك المرود صوره من كنه
صعر في طرف من أطراف باب لحم . يحدد الزحام منكما
لنزاحه . لكن الزحام في تلك اليد - لأمر أرمه ثوب - أفلحوا
مرودهم . فلم يعونوا به . منكما ساء ثوب الشكوك هذا المرود
بهذا لبي حديد

وحدثت مريم مع ولدها ، وقد ملأ النور كل ما حولها ،
 وصحت لحورك ملائكة هب بأخبارات الفرح والحمد والسلام
 وأقبل يوسف .. يصطحب معه سالومة .. الفتاة .. لكهما
 ما كانا يصلان ، حتى أصبحا ذلك القبط من النور .. بلطف المكان
 معللة قصبة رائعة .. فأعرك يوسف أن الرب قد عيا لمريم الغيرة ،
 ونظرت سالومة إلى مريم وولدها وأعجبت لأمر لم تعرف من قبل ،
 ولحت في عيني الوليد نوراً وإشراقاً .. ففكرت أن تنهى مع مريم ولدها
 ويوسف .. ترحم شيوخهم .. لقد نظرت نفسها لمصاحبتهم ،
 واشتراكهم الحياة .. حياة الحق والأمل والسلام .



(١٣)

كان السككوت طلب المكنون .. ميبا علس بعض القزعة في مراد
 سالتهم .. على غير بعيد من مريم .. تطافون اليوم عن أعضائهم
 يتسامرون ويتجادلون أطراف الحديث ، ولأن الوقت كان شتاء ..
 والرياح الباردة تفتح الوسوء .. فقد أشعل القزعة النار .. وراحوا
 يلمسون الدفء من حرارتها ، ويستلهمون الأحاديث من ألسنتها
 اللامعة أو بعضها بقاياها المبقعة

فإن أحدهم وهو يركب يديه وقد أحس شيئا من الدفء ، أو
 كمن يطلب المزيد منه :

- كم يسعد الإنسان الدفء يسرى في جسده .. لكم كان قرب
 رجبنا حين صعد الشمس لئب لنا الدفء بهرا
 ففانطع الآخر ضاحكا :

- والبار ، أيتها الدفء ليلاً ..
 ميبا تزدحم كالتهم

- ومن أجل هذا .. اتخذ بعض الناس من النار إغا غم ، واتخذ
 آخرون من الشمس آفة غم .. أما نحن فلنا في رب موسى حور إلى
 بعده ، ونسأله أن يعد إلينا دواء الحيرة التي ابتغها الرومان منا
 فطر أحدهم إليه نظرة سريعة وقال :

- وحل رب موسى يا قوم .. إلى أحسن في تلك الليلة .. كأن

سليلاً من السعادة بدلاً مني . حتى ليحيل إلى أن موراً بدلاً الكور
من حوالها .

- هو كذلك ونحن موسى . كأنك تظن ما أشعر به... إن نفسي
تنبأ بي . أن موراً قد سقط على العالم القلعة .

هيهنا هم كذلك . إذ حالة قوية من القور تخطب أصداهم...
لحدهم بالهتوت إلى بعضهم وإلى بعض القور التي تحت أو
كانت . كأنهم يتسلطون عن مصفر هذا الضوء . وما شعر الرخلة
بالزينة أو الطوب . وألهم طولوا القرب إلى مكان آخر . لكن
القور الساطع بدلاً كل ما حوهم ، وهذا صوت ينف بهم .

- لا تفوتوا... هذا أنا لشركم خرج عظيم... يكون لجميع الشعب .
إنكث الرخلة إلى بعضهم ، وما يزال الصوت يبعث وسط حالة
القور .

- لقد ولد لكم في مدينة داوود . بني مبارك .

وأنت الرخلة في هذه الكلمات الصادق ، ولكن الدخشة ما تزال
لكل عليهم عتوقهم .

قال أحدهم هيهنا يشبه التأكيذ

- إذن قد تحس القلعة ما جاء في القور . من من بني إسرائيل .
بعد الشعب إلى شريعة موسى ، وبخاصة من القور الجديد ، وبأحد
هم إلى طرف القلعة .

وقال الثاني :

- لكن . أي بعد هذا الوليد ؟ التي الجديد ١٩ - كل ما حوالها ليس

[لا حياء ومرلورد مائليه - مهل يكون السى المحدث إنما لواحد من
الرحاء ؟ وهل يمكن أن يولد من فى هذا المكان ؟]

وقال ثالث :

- إنما هى مشقة الرب .. فهلا يا رب أترث لنا الطريق إلى مكانه ؟

عند ذلك سمع الرحاء صوت ملائكة الرب يهتف بهم :

- هذه علامة لكم .. نحنون طقلا نسطعا فى مروج .. إنه سيكم ..

ويطر القوم .. فإذا عالة النور تكبر وتكبر ، وهم يسمعون أصواتها

ملائكة تترام بأشوية عذبة :

- هذا هو يوم المصرة .. هذا هو يوم الفرج .. هذا هو يوم

السرور .. هذا هو يوم التهلل .. الحمد لله فى الأعلى ، وعلى الأرض

السلام ، وبالسلم المصرة ..

لم يملك الرحاء أنفسهم فأخذوا يهتفون :

- علموا يا قوم ، فليسمع من مكان رسولنا ، وهذه عالة النور ..

بسمها .. علموا يا قوم ..

أخذ الرحاء طريقهم - تسبقهم عالة النور - يفتشون كل مروج ..

أمكن أن يبعه لهم الرب طريقهم إلى السى المولود ؟

كانت مريم ووليدتها وسالومة ويوسف .. قد استقروا فى ذلك

المزود ، حيا مع كذالك سمعت مريم أصواتا تقرب منها ،

فأوحشت فى نفسها حيرة ، وحشت أن يكون نومها قد عرفوا

أمرها ، فحاولوا يتكلموا سرها .. أو أن أهداهم نطلون وليدها ..

يشعرون به شرا ، وراح يوسف وساقومة يطبقان حائلهما . لكن
الأموات تقرب وتغرب ، وتغرب في قرح .

- الحمد لله في الأهل ، وعلى الأرض السلام ، وبالقصر السرة

قالت ساقومة وقد طربت هذه الأمشودة .

- ما أحملها من أحبة ! وما أعذب كلماتها . كم أحسن فيها صفا
وإخلا . إنها أمشودة السلام .

صدا من الأخطاط . حتى كان الرعاة ينفون عند باب الخرد .
حيث توقفت حالة النور

وعبها دخل الرعاة . وحلوا مريم وطبلها غابيا . فمضوا كما
حدثهم ملائكة الرب . وبعثت أسرارهم . فإنا إشراف نور كذا
ظروهم . وإنا هم يشعرون كأن هواء رقيقا يعنى مستورهم . لو
رأوا طية لولا يوسف صبرا ، لو كأن سلسلا عذبا يظفر ما كان
في قلوبهم من لغة . فيحرون متفندا ، وما تزال كلمات الأمشودة
تتردد على ألسنتهم .

- الحمد لله في الأهل ، وعلى الأرض السلام ، وبالقصر السرة

كانت مريم ويوسف وساقومة ينظرون إلى الرعاة في سجودهم ،
فيحبل إليهم أسهم ملائكة الظهار ، فألقوا في ذلك فصل الله . يؤتيه
من يشاء .

وحكى الرعاة لهم ما شاهدوه وما سمعوه ، فصعدت مريم بما
صعدت وأصلبان حائلهما ، وتذكرت ذات يوم مادها للملائكة .

﴿ يَسْتَجِيبُ لِمَنْ أَتَاهُ أَسْأَلًا ۖ وَخَلَقَ الرَّبُّ وَأَسْأَلًا ۖ وَخَلَقَ الرَّبُّ وَأَسْأَلًا ۖ
 عَلَى رِجَالٍ مَكْنُونَةٍ ﴿١٠﴾ يَسْتَجِيبُ أَسْأَلًا ۖ وَخَلَقَ الرَّبُّ وَأَسْأَلًا ۖ
 وَأَزْكَى مَعَ الْأَزْكَى ۖ﴾

عبد ذلك .. رحمت مريم وأسمها إلى السماء ، وصعدت إليها
 شاكراً .. طاعة .. طاعة .. طاعة .. راحة ..



(١٤)

مضى فرحان بمحشون الرب ، يشربون الخمر في كل مكان ،
ويطردون الناس من بيوتهم من جديد ، ويشربون الخمر بسلام
والطمع ، وكان يوسف إذا ترك مريم مع ولدها ودفع إلى أورشليم
مع حديث الناس عن ميلاد النبي الجديد ، فإنه عاد إلى مريم
ليأها بما يتحدث به الناس ، وما تذكرونه في محاسنهم ، ويصف
لها سعادتهم ، فتسعد هي لما تسمع .

قضت بضعة أيام . استعادت بها مريم بعضا من قوتها .
تصعدت مع يوسف إلى حيث سجل اسمها واسم زوجها في
السجلات التي أعدها الولي . لقد أسماه : عيسى . الرب أمرها
بذلك يوم ولدها الملائكة بامرهم .

﴿ إِذْ أَقَامَ يُبَيِّرُكَ بِكَلِمَةٍ وَيُؤَمِّنُكَ أَسْمُهُ السَّيِّحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

وَيَجْعَلُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ ﴾

فليكن اسمه كما شاء له الرب

كان على مريم ويوسف بعد ذلك أن يذهبا إلى أورشليم في
خروج . ولم يكن يوسف ومريم بعدهما . فقد أسما طفلهم ثالث
طبا ، ولا شك أن يوسف ومريم قد فكرتا فيهما بفرحان له من القبول

وغير ذلك . فأما يوسف ، فبجاءه من النوم جيش القوم ، بما يعرفه
في كونه ، ورجوله .. إلا أن ذلك لم يكن يفسره عن الظروف
الحاصه مريم .

وأما مريم .. فتح لقلبها ربه إلا أنها لا تستطيع أن تنكر عن القوم
طوبهم ، وهم يرونها تحمل قلب حرمها لوالها كما يطرون .. قد
يعرف البعض قدرها .. وقد ترون عاصيها وصلاحها ، وهؤلاء
يظنون .. لكن كثيرون قد يروا فيها صورة لثلاث حاشا .. حاشا عهد
الرب .. وبالحا من حرمه مشقة من أمة عمران ، وصبيدة داود
وربه زكريا .

وهكذا كانت الأمكنة الخاضعة في رأس مريم . فهل يكون الرب
بها رحيمًا ؟

فالت مريم فتأدي ربه :

- ربه .. أشرت الأرض .. وعلمها وعلمها .. سهرها ورؤيتها ،
وأشرت نفسي بالإيمان بك .. هبلا يارب .. أن مشرق نور إيمانك
في قلوب قومى ، غير مصارعهم أهدوا . فإنك أرحم من أن
تتركى وحدى ؟

وكان الله قد سمع نداها ، فبجاءها صوت ملاكه يهاب بها :

﴿ فَإِنَّا نُرِيَنَّكَ مِنَ الْبَشَرِ أَمَّا تَطْئُرِينَ إِنَّا ظَنَرْنَا أَنَّكَ بِرَحْمَتِنَا مَنُومٌ ﴾

أَعْلَمَ الْيَوْمَ بِمَرْيَمَ

مضى المسيح في طريقهم . حتى إذا وصلوا إلى مشارف
ديارهم .. أحسّت مريم ويوسف بالهولاء بمرحبا ، ولا شك أن كثيرون
من الناس قد رأوهم ، فارتسمت الدهشة على وجوههم وهم يرون
مريم تحمل طفلا ..

هذه القصة ، شيع من شيوخ إسرائيل . إنه يعرف مريم ،
وكثيرون ما رأوها في بيت الرب ، فالتفت على حذوة القنكل ، فأعجب
بصلاحها وفنائها .. إنه يرادها اليوم لحمل طفلا .. ترى ماذا
حدث ؟ سؤال كان يلح على فرائحل ، حتى فهم أن يسأل يوسف
ومريم أمرهما .. لكن شيئا ما جعل الكلمات تنعثر في حلقته ، فطفر
إلى مريم في رغبة ، ونظرت على إليه في استعجاب .

حتى هذه الفتاة التي ربطتها لمرم ذات يوم صداقة وعفة ، صرحت
عنها الطوائف .. إنها اليوم ترائف على غير عهدها .. أمّا وهي ما تزال
حظيها !! وكانت العدة أن القلوب من مريم استأفقا أمرها .. لكن
الحياة طعنها ..

أسرعت مريم ويوسف وسالوة إلى ديار القنوم .. حتى إذا
وصلوا .. كان الشعب قد أنبئكهم ، فهدأوا يطلون فرائفة .. لكن
القنوم انصموا حول مريم في دهشة ، وهم يظنون إلى من تحبته بين
عرائسها .

لكن مريم صامدة .. شامسة إليهم بنظرها حية .. ثم مدحها إلى
رئها معها حيا آخر .. ثم انصموا لطرف حياء . والقنوم يظنون إليها
في دهشة .. يصرّون على معرفة الحقيقة .. قال أحدهم في استعجاب :

﴿ يَكْفُرُونَ لَكَ دِينُكِ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَكْفُرُ بِدِينِكَ إِنْ أَنْتَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ ﴾

وقال آخر :

﴿ يَكْفُرْتَ دِينَنِي مَأْكُونًا لِيَوْمِ كَأْسٍ ۚ ﴾

وقالت إحدىهن :

﴿ وَمَا كُنْتُ أَتْلُوهُ بِحَقِّكَ ۚ ﴾

أخبرت مريم لغير معنى الكلمات .. مع .. لقد كان أمها رجل
فطيل وعلم .. وكانت أمها طاهرة طيبة ، وهي .. لا تقل عليها
ظهارة .. يحتم الرب أمها ما عرفت دنيا ، ولا أقدمت على
معضية .. لكن لا بأس .. لقد أمها الرب أن تصمت ، ويوسف
هو الآخر .. لا يستطيع أن يقول شيئا رغم أن أساليب الإنعام تظهر
إله .. وأنطرات القوم لا ترسم شجوانته .

وأعاد القوم مؤامهم :

« يا مريم .. أما آن لك أن تحبريها بأمرك ؟ »

بعد ذلك أمرت أحدهم أن يعطا من الكلمات متحرك على
شفايه .. كأنها تدعو لحاضرة مريم ، فأنه إلى القوم .. يهذى من
لورهم .

— فدفعوها يا قوم .. لعلها تنفك بأسرها أو لعل مشقة الطريق
أميتها ، فما تدري ما تقول لكم .

ومع الحرية والحرف والخلق والأمل .. التجهت مريم إلى السماء ..
 كأنها تسرحم ربا .. حتى إذا ما برئت بصورها إلى طفتها .. خيل
 إليها أن نظراته متعلقة بشيء منظر حيث رأت طائرا أخطر جهلا
 برؤسها مصاحبه .. فأشارت إلى أنها .. فزله القوم بعضهم إليه ،
 فأمر كوا في نظراته صورة جديدة لم يألفوها في مرآة الأبطال من
 إسرائي ولور .. لكن أعدم قال ..

﴿ كَيْفَ نَكُفُّ عَنْكَ مِنْ كُنْتَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۝١١٩ ﴾

وكونت الدعشة على وجوه القوم ، وهم يسمعون صوتا رفيفا ..
 يفيض عطوة وجماء .. يقول لهم :

﴿ إِنْ عَيْتَ أَتَوْا ۝١٢٠ ﴾

ولفت القوم حوفهم .. يحفون عن مصدر هذا الصوت .. من
 يكون صاحبه ؟؟ وعند الصوت يقول :

﴿ إِنْ عَيْتَ أَتَوْا نَسْتَبِيكَ كَذِبٌ وَجَعَلَنِي بِكَ ۝١٢١ ﴾

مباركاً لئن ما حدثت وأوسني وأصلوة والرسكون
 ما كنت صبيًّا ۝١٢٢ .

(١١٩) سورة مريم الآية (١١٩) (١٢٠) سورة مريم الآية (١٢٠)

(١٢١) سورة مريم الآية (١٢١) (١٢٢) سورة مريم الآية (١٢٢)

نظر القوم إلى عيسى .. كل قرأ ما حل وجوه الآخرين من
الدهشة .. وكل منهم يشير إلى الطفل في مهنة وهم يتعجبون :
- يا لمحب .. أنقل لم يتجاوز عمره بضعة أيام .. يتكلم !! كيف
على سؤال عجزت أنه عنه لا

والله القوم إلى مريم ، وهم أكثر ما يكونون دهشة وحدة لمعرفة
سرهما لكن صوت الطفل عاد إليهم .. عجب أعجبهم .. تعجبهم

﴿ وَبِزَيْنٍ إِذْ يَقُولُ وَلَمْ يَلْحَقْنِي بِهِ بَرٌّ شَيْئًا ۖ وَاللَّهُ عَلَى
يَوْمٍ وَلَدَتْ وَيَوْمَ أَلَمْتُ حَيًّا ۖ ۝۱۱﴾

وصاح القوم :

- إياها مصحرة ، آية من السماء ، صورة ناطقة خدوة الرب ..
كان جمع كبير من القوم قد اجتمعوا فيمن اجتمع من الناس ،
وكان من بينهم بعض رجال القري البطار ، وذكروا ونوتوا .

أحد ذكروا بنظر إلى القوم في دهشهم ، وصور كثرة التواهي
له .. يوم جاءت مريم إلى روضه البساتين تشدها بأثر قرب
ومشيته .. قال ذكروا :

- لعنكم يا قوم لقد تأكدتم من براءة مريم ، هو حق الرب إلى لأعلم
من أمرها وأمر ولدها ما لا تعلمون ، فدعوا مريم وأنها .. واليك

لكم فيها وأجسده اليوم مرًا تعظم به في طيات يوسا . فليس كان
منكم غير مصدق لما رآني (عليكم سره خوف الفضيحة والعار ..
لما من نفع قلبه بالإيمان . عليكم سره خوفًا على مريم وبها ..
منكم أحسن عليهما من أئمة العالين .

وحلول بعض القوم أن يعرض على كاهنات زكريا ، والتخذ كبحرون
موقف الدفاع فيه . وكان يوسا واحدًا منهم . لقد تذكر يوسا
ما سمعه ، وما تحدث الناس به بالأسس من ميلاد من جديد ، والأمل
الذي ينشئه الرعدة وهم يرتدون الأغصان العذبة : الحمد لله في الأمان ،
وبالناس المسرة . عند ذلك لم يملك الرجل نفسه وهو يقول :
- هو - وحق الرب - ما يتحدث به الناس .. رسول الله إلينا ، وإنا
له خاضعون .

وسج الدعشة والقهمة ، والخوف والأمل ، وصحيح الإنكار ،
ومهمة السؤال . انصرف الناس . في انتظار ما تسلكه الأيام .



(١٥)

من تسعة الإلهان ، وحسن الأسماء . أهدت مريم حبب إليها الحب
والعطف . بلقد ما أودع الله في قلبها ، وكان الطفل يملأ قلبها حباً
سعادة وإشراقاً والرب معها . هيء لها من فضل ربه ، ووافر
عنده . ما أهدى القوم من سوطها حتى أنصحن القوم - إلا قليلاً
منهم - يؤمنون بظاهرة مريم .

دخل يوسف ذات يوم على مريم . وبضع كلمات تتردد على
لسانه يريد أن يطمئنها . ولاحظت مريم ما بدا على وجه يوسف ،
فأثقلت عليه ونظرت إليه وقالت :

- أتعبد في أمر قوماً يا يوسف ؟

- ليس في أمر القوم جديد يا ابنة العم .

- فلماذا على قوم ؟ كأنك تحصى عمن أمرا ، يحدثني ما حدثت

- أما عن قوماً . فلم يعد شخصاً آخرهم . لكن سر امك يوشن

أن يتنازع بين الناس .

- أتعنى أن الناس يتحدثون عنه ؟

- هم يقولون ذلك . يتحدثون عن ميلاد من جديد . يقولون إنه

ولد لظاه غداً في بيت لحم ، وأن عمداً لمع في السماء ليلة مولده .

قالت مريم وهي تقول أن تحصى خرمها :

- طمأئنتك يا يوسف ؟

- لعلك يا مريم تعرفين ما قد يتعرض له بنى حفيدى فى عالم عسكيت
فيه الضحائر ... بنى قوم يسودهم حكمهم قساة ... وكم أحسن أن يعمل
المسافة إللى أطفالك

فأنت مريم :

- لكننى والقة من الرب ... وأصبهت بأمره ... فأخبرولى ففريد عما
يتحدث الناس

فأل يوسف :

- عند أنهم وعدت إللى أورشليم لئلا رجال من الشرق ... إنهم هموس ...
يصلحون الفار إلها لهم . ولا يخرجون دله موسى . ولم يكن منقسم
الرجال الرحلة لئلا الضحائر ... لكنهم جابوا يصلحون عن طفل نساء
به كنهم بأنه سيكون نسا :

- ومأنا ببعثك تعقد فى أنهم يصلحون ولدى ؟

- هم يصلحون عن طفل ، يقولون إنه ولد لعزراء لم تفتري رجل ،
أهمكن أن يكون طفل كهذا غير عيسى ؟

- أهلى أنت فى هذا ما ببعثك يا يوسف ؟

- إنما أحسن أن يكون الرجال هدف الحشوا من أصل الحقيقة مشقة
الطريق ، لعلهم جابوا كنى بأمره بأقلى .

- بل لعلهم يصلحون فيه سيا لمدية قومهم ... لكنى الحق الرب يا يوسف
هوذا لى عما يقوله الناس :

- إنهم مخرجون ، هكدا نطق وجوههم ... لكنهم يدهشون فيما
يسمعون سؤال هموس عن طفل ولد لعزراء . حتى إنهم

يقابل سؤال الرحال بالسحرة وكم أحسن أن يعرف هيرودس
فهرهم .

قالت مريم :

- تبارك الرب يا يوسف .. لقد عشت أكثر من تجربة .. يوم ساء
ملاك الرب يهدي بكلمته ، ويوم حشيت أن تكلمني أنت ، ويوم
أعسست الوحشة .. بعيداً عن الأهل حيث وطعت يسي .. ويوم
تعرّضت لأفظول لومى .. وكان الرب فى كل مرة رحيماً ..
فما انتهت من كلامها حتى انصرفت لصلاتها .. تبارك ربنا



(١٦)

الظلام يلبث الطريق الذي يسير فيه هيرودس ... يهبط نارا ،
ليرتفع فجأة ... يستقيم حيناً ... ثم يحيى سرها ، وهيرودس ماضٍ
في طريقه ... يعتمد على بصيص ضئيل من أضواء الضوء ... يمسك بها
رحله ... فجأة ، إنطانات الضجيج ، فراج هيرودس ورجاله
يحيطون في الظلام ... الخوف يثقل قلوبهم ... وصور الصعالي التي
ظلمهم هيرودس تنبأ له ... تحوّل إليه أنه يدوس فوق حشيتهم ...
يهرس في فماتهم ... يعض في أنفخاتهم ... كأن كثيرا من الأيدي
لجأول كي تمسك به ... إنهم مسخاة الذين ظلمهم هيرودس ... تحيل إليه
أثم يبتصروا ... يطارقونه ، ولوح يهيم ولفيه ، وروحه ترتجى ،
ومدينته توستوس وحائيلس ...

استسلمت هيرودس من بومه ، وقد دال منه الخوف ، وانحس
قلبه ، لئلا يكد أن كل ما رآه حلما ، ومع ذلك أفساهه الفزع وهو
يصبح ...

- لا ... لا ... لن يكون ذلك ... لن تنطق ، فهوحي ، ولن يكون
الظلام حولي ... ستنطق فهوحي موافقة ... حل متعذرة !!

ولعل أن يثنى هيرودس من كلمته ، كانت قبلة آخر سمعته من
خوفه في الحيرة ود انطانات ... ما يضر الظلام حوله ... نفس الظلام
الذي كان يعطي طريقه في الخلق الذي رآه منذ خطوات ...

أسرع هيرودس إلى نافذة بيهرته .. يفتحها ويواجه صورة الشمس
أكثر ما يكون إشراقاً .. إنه نور من الرب ، ولكنه لا يخس به ، وعاد
هيرودس يصيح -

- لا .. لا .. لي يكون ذلك "

كانت مبهمة عالية مدوية ، حتى جعل لرجاله أن يحدثوا وقع
لسيدهم ، فأمرهوا إليه .. القبح يساق خطواتهم ، وظلهم تكاد
تقتصر من صفروهم من حول النخلة .. عمداً حساء قد حدث له ؟
وعاد هيرودس مرة أخرى ينظر إلى ملأها الشموع التي انطأأت ،
ثم إلى قرص الشمس في الأفق ، والقراس من حولها لا يتروك من
أمر سيدهم شيئاً .. لتضي عماء الخمرتان بيوجهم للمساءلة ، فلا يجد
ما يطوله لهم ، ولا يتكلمون هم إلا الصمت .. وحاول هيرودس أن
يتلمس نفسه القلوة ، وحشي أن يتكلمب أمره .. فأمر سيده
وحراسه أن ينصرفوا .

وحام الضمور .. واحد من رجاله الذين استطاع هيرودس أن
يستسلمهم إليه ، وكان الضمور أكثرهم إخلاصاً لسيده ، وحام كاد
هيرودس يرى شيطانه .. عني جعل إليه أنه واحد من يسيه أنكرهه ،
وكان ما برأ يهدي بكلماته -

- طريق طويل .. مظلم .. ونفوح بلا طم ولا صوة ، عماء ..
صراحت -

وحاول هيرودس أن يمسك من الكلام ، وسكت لخطوات ..

يسرع صورا كثيرة ويربط هذه الصور كما أماء به أحد رجلك هذا

يزود على الحصة الناس .. قال هيرودس :

- أذكر يا سمعون ما حدثني به عن ميلاد من خذرا ولد في

أرض اليهودية ؟

- صحت الرب .. أذكر على مسامعي ما يتحدث به الناس عن هذا

الشي

- ولكن يا مولاي نريد أن نلصقها بقلوبنا نعطى رجال الذين ليخلقوا

بها مكانا لاستعادة أنفسهم

- لكن هذا يا سمعون ، ولكني أريدك أن تحدثني كما يقول الناس ..

- يقولون يا مولاي إن رجلا من الشرق .. قد قدموا إلى

الدير .. يستأثرون عن عذراء وصغت طفلا في بيت لحم ، وأن هذا

الطفل سيكون نبي .

وسكنت سمعون قلبا لم قال :

- ولكن ذلك هراء ، فهل يظن أن يكون لعذراء طفل بعد رجل ؟

- وماذا عن الناس يا سمعون ؟

- ثم بعد الناس - إلا قليلا - فيما يقولهم الفرس إلا السخرية .

قال هيرودس ، وقد تناهت في ذهنه صورة الخلق :

- وأين هؤلاء الفرس ؟

- إنهم يقيمون أماء لورشليم .. يقتشرون عنه ..

- طيبوا إلى .. المني بهم

-

- نعم ، فلما أتوا إلى هذا أشد ما نحن إليهم قرأوا القرآن ، فليستعزوا
نفسهم .

- لك ما يشاء يا مولاي .

فما هي إلا ساعة أو بعض ساعة حتى غاب الغمام والرجال
الغمرس ، حيث كان لهم لقاء مع عرويس .



(١٧)

فدأت مريم مع وحيدها .. بهم يعطونها وأمرتها ، فأتساك معا ،
ويستعان معا .

هيها هي كذلك ذات يوم .. وجدت طرقات تدق بابها ، فأجست
داخلها .. لكنها ذكرت ربها .. كانت الطرقات مربعة حادة .. لكنها
مادة لثقل ويوسف ليس معها ، وهي وحيدة إلا من واليداعا وربها ..
تري هل تأذن للطرق ومن هنا الذي بطرق بابها ؟

كان الرجال الغوس .. قد عرفوا من مسجلات هوروس أنهم
ولموا صد حامى في هذه المنطقة .. أراد هوروس أن يساعدكم على
أول أن يأنوه بالطفل ، وبذلك استطاع الغوس أن يصلوا إلى حيث
مريم وطفلها .

حيثما دخل الرجال على مريم ورأوا طفلها .. أخرجوا إليه هو الذي
يحلون عن هذه المقات بهم بطرق .. كأنهم كانوا على موعد معه ،
أو كأنه كان ينتظر مقدمهم لبعض طم صدى عزهم

ولاحظ الرجال في نظرات الطفل .. كأنها تعد إلى طوبى ، كما
بعد أساء نور وسط حله الضلام

كتب مريم قد إلهت من صلاتها ، صطرت إلى الرجال في ذهنا ،
وطرخوا هم إليها ، وما لراى عورهم مدعته إلى أسيا ، وحكى لمريم

لهم يرحلون شرا بابا ، فأمرعت إليه الخفلة ، ، كأنما نقول به
وجن الرجال :

قال بلطشاسر أحد الرجال :

- ما أنسى إلا إليك لم الطفل ؟

- هو كذلك ، فها أنا تدعون عن الرب ؟؟

أيام ملكيور وعلى شعبه انصاعة مطعنة :

- صبي عيسى .. أليس كذلك ؟

قالت مريم :

- وكيف عرفت هذا ؟ وما حاجتكم به ؟ هل من شيء أقدمه لكم ؟

إن حيوات الرب وبصه كثيرة

فماطعها فغيبار ثالث الرجال .

- هذا حقا لشيء من هذا أيها النعم عليا .. وإنما قطعنا الطريق من

ههنا .. طويلة شاقة ، الفصل إلى إيلك ، وحق ربك ورب أمالك

ما حقا إلا خير بره أن نأكد به

تذكرت مريم حديث يوسف لما سئل أيام من رجال الشرق الذين

سأكون من حضراء ولدت طفلا ، وأتركت أنهم قد عرفوا أمرها ،

محاولت أن تصرفهم في أدب ، ولكنها سمعت أحدهم يهين لزميلك :

- ما أشك أنه الطفل ، إن النجم الذي كنا نسمعه قد توقف هنا ..

انظر .. إنه ما يزال في السماء ، كأنه يحرس من في هذه الدار .

ولاحظت مريم أن طعنها قد أسس إلى الرجال ، وأنهم عرفوا به ،

ورأوا يقسمون له الهدايا : ذهبا ، ولبنًا ، ومرًا .

قال بطشاسير لمریم وقد شاعده على وجهها علامات الشك :
- ان تصدقيا أمرك وطاعتك ، فإنما أعطيه عهدا ان يكون لكم درعا
من أي خطر .
- ١٩

واتبعه ملاكيور :

- إنه رسول عذابة لقومه ، يحشر دمه في الشرق والغرب .. فكنا
نقول كسبا ، وسيعبد الناس في بيته سلاما وأما ..
بعد ذلك شعرت مریم بطشاسيرة ، وحسنت ما قاله الرجال حينما
رأهم يسجدون لأنها احتراماً لبركتها وشكرها للأمة التي عندهم .
ولم تكن سالومة تبق من دعشتها .. حتى سمعت بطشاسير
يقول :
- كم سعيد يا سيدتي حينما تصيرنا حصة من شعر ملكك

وقال ملاكيور :

- لنكن مثري إلى قوما ، وإنا كندا القوميات حينما قدمنا من أسطه .
واتبعه فصلا :
- ولنكن كل شعرة منها : طريقها إلى حبة من حبات العالم :
إلى حيث تشر العظم فيه

قالت مریم :

- لكم ما تشاء ، ولكم عين الرب .. إنه مومي .. كونوا على السر
حافظين .. يعلم الرب كل شيء حوى من سطر الحقائق .

قال أحداهم :

- نحن نعلم ذلك .. فزاد على وجه هيرودس .. لاحظنا علامات
فقد عليه فأخبروه أن يعرف شيئا من أمرها
وقال الثاني :

- الآن يودعها حيث يعود إلى ديارها ، سلام الأخت عليك وعمل
جيد ..

ودع الرجال مريم وسالومة حيث انصموا .. ومضوا في طريقهم
يبتعدون من القليل سارا لهم .. بعضهم من ألين هيرودس ، وبها كان
الرجال يفترون القصة .. كانت مريم وسالومة تسامكان .. ترى هل
يكون الرجال على عهدهم لما ؟

وأقبل يوسف ، فإذا مريم تدعوا رجا وثانية .. يصرها فيض إلى
أقرباء به صلات دارها .. هي إذا ما انتهت من ميلاتها .. نظرت
إلى يوسف فإذا آثار خلفه على وجهه ، وضع كلمات ترند على
شفتيه .

ولشد ما كانت دهشة مريم حين تسمع يوسف يتحدثها عما رآه
في حلمه .. ملاك الرب ، وهو يصف له .. بحضرة .. يطلب إليه أن
يأخذ الطفل وأمه إلى أرض مصر

والله !! أتدرك مريم ديارها إلى أرض غربة لا تترى فيها
شفا .. كانت من قبل تحب على نفسها ، ولكنها اليوم تحس على
عالمها .. كانت من قبل تملك من عزمها ، ولكنها اليوم تخاف من

أشد عطشا .. هروبا .. لقد قامت الوحشة والوحشة ، وقامت
مراة سوء الظن من حرمها ، فهل شاء لها الرب أن تقاسي عذاب
الحرية وهي ترمي طفلها في أرض غير أرضها ، وبين قوم ليسوا
بقومها ، يا أيتها مشقة الرب .. أناس هو الذي أمر يوسف
بالرحيل ؟ .. فلو حلوا ..



(١٨)

لوشك الليل على الرحيل ، وما نزال فيه نبيع لحظات تروك من
 لأخرى ثم نعي التردد مشرق البحر جديد ، ومع ذلك لم يستطع
 هوروس أن ينام ، فقد حاصصة طائر الكري ، وحملت فوقه أنياب
 السهد فأسهده .. إنه الرجل الذي جئت له الحياة وانصت له
 الرجوس لجله لو مدته ، ومع ذلك فالفكر يوحده ، وانسداد بصر
 على مصاحته

بعد ساعات كان هوروس بحث مع العائنين من حالته ، ويسعد
 بأعيات حواريه ، وهم يشدون ألبان الأظفار ، ويرقص ملهش
 طائفة ويشعل جلدوة عزوته .. بعد من ككوس الطير ..
 يصاحفها من أيدي مسلمات البصر ، فسكن برحيل حافلين ،
 ومفاتي أجدادهم ، ورجله من حوله .. يطاركونه الشراب
 والصباح .. لكن المجلس لم يفض ، وعاد الجميع للتصبر ، وعلى
 هو وحده يفرج حجرة حبه .. لم يتوقف ليتطلع إلى حذرايا ..
 فيحيل إليه كأن ألباحا تظفر إليه .. مراد به البصر عائر القوي ..
 حزين الشمس

ومضى هوروس خطوات حردقة والفكر يله رأسه .. حتى إنه
 اقرب من حدج إحدى حواريه .. صاح هور أن يفرى ..
 - أمردوس .. أمردوس ..

كانت أسرديس غداة رائعة الجمال .. عدة الصوت .. بديعة القلب .. ولم تكن من نسل فلسطين .. ولكن كانت من نسل النيل .. حبيدة الفراعنة ، احتفظت الرومان ذات يوم ، من بين قومها في عهد ولاء النيل .. وانتعدوا بها من مصر .. حيث دأبوا في فلسطين .. وعاشت أسرديس نقاسي العربة والعبودية .. تصارع أسوار الجبال القاسية ، فراحت تفسح عشا في عشبها ومشاعرها أحرقت بالآفة ، وسمع الميمون أحد أصدقاء هيروودس صوته فأعجب بها ، وسره حلقا ، فأخذها إلى قصر سيده ، لتصبح واحدة من حواريه ، ولزها هيروودس إليه ، فقد كان يطلب له أن يستمع لصوتها .. لكن قلبها كان مشغولا إلى عواجا فإن لها شيا لا تنساها ، إنها ما تزال على عهدا لعداها .. ابن عينا .. لقد كفا على موعد لرفاتها ، ولكن مشقة عهد الرومان ومشقة هيروودس أنت حليهما غير ذلك .. شاء الرومان ألا أن يهرطوا بين الحبيبين .. فرقا من غير وفاء ، وفوق أن يترود كل منهما من الآخر مراد يختلف عليهما لوجه الفراق ، ومن أجل هذا كانت أسرديس حافظة على الرومان قائمة على هيروودس ، وحيا فاذى عليها هيروودس .. كانت ما تزال ساهرة .. لخير ذكرياتها ، وتتحرق شوقا إلى مياه النيل ، ومحب مصر التي تدكرها بألفها .. تدكر فتاة .. ترى على احتفله الرومان ؟ ألا ما أصبح هذه الحياة .. هنا في فلسطين .. يقاسون من ظلم الرومان ، وهناك في مصر .. يقاسون ظلم الرومان .. هذا أناس هؤلاء الخائن !

ما كانت أسرديس تسمع صوت سيدها .. حتى أسرعت إليه ..

فلمحت في عهد سطورا من الحياة والقلق - ربما هو أسرع نقول ؟

- أما زالت يخطي يا أمرديس !!

- إنما كنت القيلة على موعد مع قنوم يا سيدى... حين سمعتك

تاديس ، بهلا تستطيع أن تسجل من أهلك شيئا ؟

عهد مبروديس ولكن في رأس :

- لا... لن تستطيع أن تفعل شيئا يا أمرديس... لقد سمعت أن

أحلق نفسي ما أشده !!

- عفوا يا سيدى ، فما يستطيع أحد أن يرفض مولاي ليرا -

- لكنه حدث يا أمرديس - لقد سمعت أن أحلق نفسي الراحة

- فترى تما يربح بذلك - إلى شاه مولاي ، فطبع كنوس من

الشراب -

- لا يا أمرديس -

- لماذا يدك يا مولاي ؟

- قنوم

- قنوم !! عشتك يا مولاي ماذا تريد !!

- هو كملكك يا أمرديس... فهل أنت أن تقضى قنوم أملا حسنى ؟

- ... !!

- أم ألق لك ذلك عاجزة عن ذلك - إن الإنسان يستطيع أن يفعل

الكثير ، ولكنه قد يحرق عن تحقيق أسطر الأشياء - قنوم مثلا -

كانت أمرديس تنظر إلى مبروديس ، فترى فيه صورة الحاكم

الظالم ، كيف هو أحد الذين أعدوها عن قتلها -

وصاح هيرودس :

- إني مكثوس الخمر يا أمرديس .. لعل أنسى نفسي ..

قالت أمرديس :

- وربي من الغناء يا مولاي !!

- ما حاجة لي به والغناء بطرب .. وأنا أريد أن أبعث إلى عالم

النسيان .. إلى مكثوس الخمر ، فاسكبها ، واسكني فيها من رحيق

محررك ما يسكرني ويسبي أسراي

حيثما دخل هيرودس حجرته .. أدهشه ذلك الظلام الذي يملأ

حياتها فقد انطفأت كل الشموع ، وحيثما أقبلت عليه أمرديس كان

يحيط في ظلامه ، فراحت تعيد إشعال الشموع .. فكيف ما تنكاد

لشعل واحدة .. حتى تنطفئ الأخرى ، وسيدعا ينظر إليها في

بأس ، وقد تاملت في دمه صبور الخلم الذي رآه .. ثمرة المطفئة ،

وصوت أشباح طيطاء بلا حنونة ، وتذكر هيرودس الرجال الخوس

التي دعوا يصحون عن الطفل .. لقد حبسوا أماله .. لم يعودوا ،

فراح يصيح :

- لن يعودوا .. تركوني وحدي .. الويل لهم !!

وحللت أعصاب هيرودس وهو يحتطب مكثوس الخمر من

أمرديس ليسكبها في حوضه .. حتى أمت الخمر بقلته ، فراح يعبث

بشبه الخمر لصاوده صبور وأخذت حلمه واستلظت فراخا وهو يصيح :

- لا .. لن يكون ذلك .. أقتل كل طفل في بيت لحم

واللهه سمع صوت الصبور يقول :

- وما عاود بيت لحم

- ثم وما حاورها ، فليذهب الجند ، ولهاثولي يبروس الأطفال -
- ولأنه أن يكون رأس هذا الطفل واحدا منها .

ما أنشرف صباح اليوم التالي .. حتى كان رجال هيرودس يقتسمون الدور .. يشكون حرماتها . ليبحثوا عن كل طفل وأصلوا سكاكينهم في رغام الأطفال حتى امتلأت الشوارع بدماء الأبرياء ، وارتفعت صرخات النساء تنادي ظلما على كل الحدود ، وندت النساء في بيت لحم وقد لمس السواد على ملابس أكبادهن ، وحزن الرجال على أطفالهم ، لكن هؤلاء هؤلاء .. لا يستطيعون إلا أن يحسوا آلامهم ويحسوا دموعهم ، وفي قلوبهم لغة الإعدام .

وأخافت هذه الصورة إلى ألعاد الناس .. ما حدث لى إسرائيل في مصر .. حين قصفت بهم عذوب فرعون .. فاستحى نسايتهم وجل أطفالهم ، وحدثت بيت لحم وما حولها وقد تسربت في ثياب سود ، وأشد الناس يكون على الحقيقة التي خباها وسط زحمة الطول ، وبأسفل على الأمل الذي كان يشرق في حياتهم . أمل النسي الجديد . ومع الحروب والفرح .. يستل الناس بعضهم ما تلب هؤلاء الأطفال ١٥ . أما يمكن ما صنع الرجل ينجيه من المسخرة والتعذيب لإرضاء لسانه من الرومان ؟ وما يستطيع الناس إلا أن يطلقوا الرحمة لأنفسهم . والحنان من الطائفة ، وأن يخط رسولاه من سكنى هيرودس ، كما رسم موسى من سكنى فرعون .

وفي حضم تلك الدماء الرائحة التي أزلها هيرودس .. بحث القوم عن مريم وحملها ، فقد عرفوا ما كان من أمر هيرودس والفوس ،

وأفركوا أن ابن مريم هو الطفل الذي يبحث عنه رجال هيرودس ،
ولكن . . . كم كانت معصيتهم حيناً لم يتفادوا مريم وعطّلها . . . حتى لقد
على معصهم أن رجال هيرودس قد قتلوا الطفل وشكّلوا دأبه . . .
قال أحدكم :

- فأين يوسف ؟

وبحث القوم عن يوسف ، فلم يفتوه ، وتساءلوا فيما بينهم :

- ترى ماذا حدث لهم ؟

وعطّل آخر :

- وأين سالومة ؟

فردد الجميع :

- أين سالومة ؟ ، إنها ولا شك تعرف من أمر مريم أكثر مما نعرف

قال بعضهم :

- فلتبحث عن سالومة ، فلعلمنا نجد فيها إجابة لسؤالنا

وتفرق القوم يبحث عن سالومة ، وظلّ آخرون ينظرون ،

ومرّال السّؤال يلح عليهم : أين ذهبت مريم وعطّلها ويوسف ؟

ثم . . . نادوا تركوا ديارهم وأعطهم ؟ أمكن أن تكون مريم ما تزال على

حربها بما أصاب نومها ؟

والجواب القوم . . .

فأما هؤلاء الذين طمس الحق على قلوبهم ، وذهبت بصائرهم عن

نور الحقيقة . . . فقد شطّوا في ظلمهم ، فاعتقدوا أن مريم ويوسف

قد هربا خوفاً من غضبهم ، وألحقوا معام حزنهم ، وليسكنوا

دموع عارهم ، وأما من كان مؤمنة بالله ومروية بمرم فقد ردت إيمانها على إيمانها .

وبهذا كان الجميع في دعوتهم وأفكارهم . وصفت إليهم أضرار مذابح هيرودس في المدينة ، وأن سجن القوم لما يفعل هيرودس ، فقد أسعدهم أن تكون مريم وأنها قد ابتعدت عن الخطر .

وصاح من يقول :

- إنها مشيئة الرب . شاء أن يحفظ مريم وأنها ، فأمنسكوا مريم في صدوركم وادعوا الرب أن يكون مع من تركونا على غير موعد . ولا نظروا وفاج . أن يمحهم الله السلامة .

فردت الجميع

- آمين .



(١٩)

كان القمر يهرس الكون سوره . يلقى عبوده على طول
الطريق .. حيث عطى يوسف نصحه مريم وابيا ، ورعايتهم سالوة
على آتوت ألا تشارفهم .. لغوث نفسها ليعصمهم
وحذر الجميع أرضهم ليشهدوا رحلتهم إلى مصر .. انحلوا من الليل
منظرا بعضهم من أخرى الرقاء

ومضى المركب بعيدا عن أرض هيرودس شيخ عجوز يقرب
التسعين من عمره . يسلك هذه رمل حمار أسود ، وهذه الأخرى
عصا يتوكأ عليها ، وسيدة جميلة في ربيع عمرها .. ترتدى ثوبا من
الصبوف الأسود الحسن . تخطي رأسها طرحة ناصعة ليليس ،
وهي تداعب طفلها الذي يولدى سرورا طويلا ، وقد جعلت على
صدره تمويده ، وريشة قرصية اللون ، وحلف العصور والأم سيدة
أخرى طرحة الطول .. تحمل جناح النافذة . صبرة بها ملابس
وطعام .. إنها سالوة

وحينما وصل المركب إلى أسوار القديسة .. لم يسمح لهم الحراس
بالخروج ، فقد صدر أمر هيرودس بذلك

فالت مريم في نفسها وقد شعرت بالحزن :
- لا بأس ، عافك معا .

واقدم أحد الحراس من يوسف وسأله

- من لهم ؟

- عائلة يهودية من فلسطين .

- وأي الجهات تقصصون ؟

- تاريخك يوسف وهو يقول :

- إنما قصد قلعة بعيدة لتقدم واجب العزاء .

لم تبالك مريم نفسها ، فقد عليها الكآبة وهي ترسو الخراس أو

تسبحوا في الطريق . وانظر إليها أحد الخراس وهو يقول :

- لكسابة سيدق لا تلك ذلك . فإن مصابيح الأبواب أعدتها رئيسا

ولم يعود إلا في الصباح .

وقال الثاني موجهها كلامه إلى باقي الخراس :

- علموا أيها الخراس . فقد انصرف الليل واشتدت برودة الهواء

أيضا ذهب الخراس بعيدا . بقيت .. مريم والعائلة . ولأمر

ما حملت سالومة الطفل عيسى وانقرت من الأبواب الموصدة . فقد

الطفل يده ووضعها على الأقفال . ولشد ما كانت دهشتهم حينما

انفتحت الأبواب . وخرجت الأجرة القصى في الطريق .

وابعد الركب عن الدليل . حتى وصلوا إلى بلدة الحليل

صحبوا إلى مكان برؤعون بعض الماء . حتى إذا أحدثت الشمس

ثيل غمر الخيب . غاصروا مدينة الحليل

كان القمر يشرق عليهم من ظلاله في السماء . يكشف أمامهم

معالم الطريق . كأنه حارس لهم . وكانت سالومة تسرى بهم

وحشة الطريق بأحاديثها العذبة وكلماتها الخلوة . وحيث البصحات

ليلة طيبة ... تسطر في سجلات الخلود أروع آيات الله ، مشعر
فرايطون بعض الأمن ، وآووا إلى شجرة نخيل قائمة عند سفوف
الطريق .. يصلون لربهم .

وبكدا نصت العاقلة : يرون في مشرق الشمس ومعها صورة
لقفرة قرب ، وكم تعرضت العاقلة في طريقها لكثير من المفاطر ...
هذان أسدان وحشيان يتدلاهم في الطريق ، هربا عما لراهما ، ولكن
الطفل ينظر إلى الوحشين ، فإذ هما قد أحيا رأسهما كأنهما طفلان
ألفدان .. يقفان جل باب الكهف لمراسيتهم .. كم تعرضت الأسرة
للموسم وللعطش حين يفتد ما معهم من ماء .. ولكن الطفل همس
استطاع أن يهديهم إلى حيث أناه .

كانت الطريق طويلة شاقة ، وهم يمكثون في أرحم ، لقد تركوا
الأهل والأمصحات إلى ديار حربة ، ليس فيها بيت قرب يصحونه ،
والرومان هم الرومان ، يسيطرون علينا ، مهمل يفتد علم أن نجسوا
في مصر الأمن والسلام ؟ وهل يكون حاكم مصر أرحم من
هرودس ؟

فالت برح شاجي رحا .

- رماه هذا روح منك ، كلملك القاعا إلى ملائكة ، فلتكن معا
حتى جرد إلى قوما .

ومضى الضمير في طريقهم إلى مصر ، يصلون الروان حيا ،
ويخافون الرمال أو يلقون حول الأكام حيا آخر .. يقاتلون في

الشمس مضاءة والهة بالحكمة الرب حين يكون النهار .. ويرى في القمر رسول هدانا لهم في طريقهم .. حين يكون الليل .

وشعرت مريم بالشفقة ، وشاركتها في سعادتها يوسف وسالومة ، فلما هي على أملاك مدينة (الفرما) نادى لهم من بعيد .. تلك المدينة التي حدثهم عنها أهل المدينة .. ينادى فقد وصلوا إلى مصر .. فها هو لهم أن يستأجروا

والأمر ما أرادته الرب ، فخصوا ليلهم خارج المدينة .. فما كانوا يستطرون في مكانهم .. حتى طوقت بأذعائهم ذكريات كثيرة .. فإلى مصر .. جاء خدمهم لإبراهيم وروحه سارة ، وفي مر شاء الله ليوسف أن يصحب أميا عن حراتيا ، وفي مصر التي فوج موسى الكثير من الظلم عن أيدي فرعون حتى شاء الله لهم أن يرحلوا ..

قال يوسف لرم :

- ما أشد القيلة بالرحمة ..

وقالت سالومة :

- وما أشد فرعون مصر وما كان يبعده بذلك المبرور وما يبعده بأرض اليهودية .. ترى هل تكون جهنم كما انتهى فرعون !!

وأخسكت سالومة فمعة كثيرا .. كانت تفسل وجهها حين تذكرت نورطليم وبيت لحم !!
ومضت سم الذكريات ..

في مصر .. نادى موسى ، وحفظه الرب من فرعون .. حين لوسى إلى أنه فرمعه في مسنوك وألقت به في النهر ، ثم تلقاه آل

موجود ، ثم شاء الرب أن يرميه وترجاه ، حتى شب
ظي ، ليكون بعد ذلك بيّنا .

وراحت مريم تستعيد صفحات حياتها .. يوم حملت طفيلة
الرب ، يوم أنشأ الله وطلتها من سكران رجال هيرودس
وألقاها من تنكيرها سؤال سالومة :

- مع تنكيرين يا أم ليلى .. وهذه قصصات وجهك تظن بذلك ؟
- لقد تذكرت يا سالومة ما لآله موسى على أيدي قوم من
حيرة .. وما احتله من عساك علولهم وبسائرهم تعاليع رميم

- إذن طالت حالمة على إنك 19
- نعم فما عدت أحسن هيرودس ، إنما أسوء ما يهينى .. عند
القوم وحياتهم .

قال يوسف :

- إي الرب الذي حصر موسى ومن معه ، إنما هو ناصر لإسك
يا مريم .

وأشرقت في نفس مريم سمات الأمل ، وهي تنظر إلى ليلى ،
وبور يبعث من وجهه ، عيسى ، ما حوله .. كم عظمتها .. وكم تحب
فيه عراء وسلاوي .. فخرج إلى دجا .. فصل له ولتشكره وتذمروه

وأفترق صباح اليوم التالي .. وبدأ قرص الشمس يعلو في الأفق ..
ومضت العائلة في طريقها حتى وصلوا (بسطا) .. فأنهبوا إلى شجرة
قائمة هناك .. فجلسوا تحتها وقد يستعطفونهم من شدة الظلم بعد

أن أنبي ما معهم من ماء .. وترددت على شفي يوسف التيسون
طبع كلمات وهو ينظر إلى الطفل : .. وأن كنت دعيتهم أن يروا
سلسل ماء صاف .. والطفل على حافته يسلك قطعة من حديد ..
يدق بها الأرض فيدق الماء .. فشرىوا يستأنفوا رحلتهم



(٢٠)

- أَسْرَدَيْس . أَسْرَدَيْس .

لقد سمعت في عسي .. وطروقات خفيفة انفرج الباب .. حيث
علمت أَسْرَدَيْس مع ذكرباتها .. تذكر أَعْلَهَا وديارها .. هناك ..
في مصر .. على صوت هذا الذي يبعث بها في جنون ١٩ أَمْكِن أَنْ
يكون لسيدها الذي تركته منذ ساعة يعالج آلام نفسه وعرضها ؟
أَمْكِن أَنْ يكون صوت الشيطان الممرد الذي يملأ لَدَيْهَا لَوَاصِح
بمنه هذا بعد انقضاء آمال حبه ١٩

ومرة أخرى سمعت من ينادي :

- أَسْرَدَيْس . أَسْرَدَيْس .

ترددت الفتاة في حملوها وهي تنبأ الفصح الباب .. لكنها
ما كادت الفعل حتى خالعت على صوة الشجرة .. صديقتها راحيل ،
شريرتها في الآلام ورببتها في الأسر .. كم سعدت كل منهما بالأخرى
معادة أنفسهما بعض ما تشعرا به من عذاب ومفلة .. حتى خيل
لها أن القدر قد حفظ لها في لوح مقادير طريقتا واحدة .. فوجدتا
في لقاءتهما وأحاديثهما ما يخلص عن نفسيهما أخريهما .

فالت راحيل وهي تخطوا إلى الداخل بخطوات حذرة :

- طاب مسلكك يا أَسْرَدَيْس .

- بل لول : طاب مصاحك يا راحيل ، طاب من إلا غلطات حتى

يشرق الشمس .. ومع ذلك .. لم تكتمل عيني حتى الآن بالفرح .

- أعرف عيني تفكرين ؟^{١١}

- لكأنك تفكرين مطول تفكاري .. يصل إلى الله حيث ي أن أعود

إليه ، وما يدري تلك الأعداء التي تفكرين .. ما رأت لأكثره

هناك .. على شاطئ النيل .. عند شجرة الخمر الصاعدة حيث

أجدنا أن تلقى .. بطمسي الحب ، وألمعه الأمل ..

- تفكرين عني أن عيناك تاحور .. حسب مؤامرك .. أليس كذلك ؟^{١٢}

- وهل لي أن أفكر في غيره يا راحيل ؟^{١٣}

صحبكت راحيل وهي تقول :

- ضحكي .. ضحكي ..

أنا ضحكت أفرديس بوجهها وهي تقول :

- هذا الشيطان الكره .. لعمد الألة ..

- ولكنه يملك يا أفرديس .. لعل محالتي مسخرة ، أو صوبتك

أشكره ؟^{١٤}

تحدثت أفرديس وهي تقول :

- وهل لي من محالي ما يأمر هذا الشيطان ؟^{١٥} يا لألة دعينا

من هذا الخديعة يا راحيل .

- قطع الحديث يدي يا أفرديس ؟ عن هناك ؟^{١٦} .. أين عيناك

- تعلم لألة كم تنوي نفسي إلى رؤيته ؟^{١٧}

.....^{١٨}

- ولطوسي : كم أحس إلى مصر حين فرغنا الدلالة إلى القنطرة

البدية ... ثم اشتاق نفسي إلى شربة من ماء فلبها أنفسي .. بها طعمي
فهل تقدر لي الألفه أن أعود إلى مصر 19

فأعذلت راحيل وهي تقول :

- ذكرني مصر يا أمرديس .

- إنها أذكركها دائماً يا راحيل . أذكركها مع كل نسمة هواء . مع
كل دفعة قلب .. مع كل طريقة من ..

- لا تأمن عليك يا أمرديس .. بهذا حين الوطن يرحم دائماً على
لسانك ولكن .. ألا تتذكرين ما حدثت فيه ذات يوم .. من من
ولد في أرض اليهودية .. في بيت لحم .. ذلك ما حمل سينك على قتل
كثير من الأطفال 20

- نعم يا راحيل .. ما كنت أذكر تلك الكلمات التي سمعتك
ترددوها .. تلك الأسماء العذبة التي كنت تشبهها في سكون الليل .
الجد ط في الأطلال ومثلما المسرة .. كأنني أفس في كلماتها فألا
حسناً

- إنها تلك الأسماء التي كان طرفة يرددوها .. بشرى للناس

- لكن نحن ذلك .. أما بران الناس يتحدثون عن هذا التي ؟ لم
نراهم طورا أن يروا من قبله فيمن قبله من أطفال بيت لحم 21
- لا يا أمرديس .. الرب قادر على أن يحبط نية ..

- يجعل الآفة .. جعلني من التي الجديد .. طوي أشعر كأننا
يتم بحمر الناس على يده .

فألت راحيل :

- بل حدثني أنت عن مصر يا أمرديس .. كم أظنني قد أرى بلادكم ..
 - لمستحيين هناك أهلك وجومك ..
 - ومن أجل هذا جعلت القبة لأهلك سرا .. لمستحيين هناك ..
 - فاذكري ما كنت ..

- إن الطفل الذي ينظره قوما .. نيك .. في مصر الآن في وطلت
 يا أمرديس .. هو وأمه الغراء ويوسف يعيشون في قومك ..
 لرئت كم أنا في خوف إلى مصر !!

وراحت راحيل تضحك لأمرديس ما سمعته عن مروج ولها .. تلك
 الأخبار التي رواها أحد البحار القادمين من مصر

كان يوروديس .. ما زال يحاول أن يفحص عبيده ، ولكن الطفل
 يوسف .. ووجرات قاسية تصاعف الآلام .. كم فشل من أمراءه ،
 ودمعت عبيده .. ولم تكن قد عرفت الدموع من قبل ، وما أقصى
 دموع الطالين على أنفسهم .. أكراما كانت دموع الطوبى
 ما ينظره ؟ أم دموع الآلام التي تفتت جسده ؟ أم لراها دموع الدم
 الذي يمتص قلبه ؟ .. عبيدا هو كذلك جميع من يذهب به ..

- يا يوروديس .. ياد الطفل الذي سمعت عنه ما زال حيا
 وتترك المرحل في قراشه .. وفتح عبيده يحاول أن يرى مصدر
 الضباب .. لكنه لم ير شيئا .. حتى إذا انصهر عبيده .. عاد صوت
 القليل يابسه ..

الطفل الذي سمعت عنه ما زال حيا .. يعيش مع أمه .. في
 مصر ..

وقرع هيرودس دهنه عليه لعله يرى من يدهف به ، ثم صاح
صبيحة منكمومة :

- ولى ؟ ألى منكلى فى مصر ؟

- فى بيت حرب .. فى صعيد مصر ، هناك فى جبل عسفام .

وفكر هيرودس ألى يفتح عليه ليرى مصدر الصوت ، ولكنه لمضى
ألى يختصى انثابت ، طلال وما يزال يعضض عليه -

- وماذا فعلت وأنت طائر على القبر من منكلى ؟

- أرسل إليه جودك ليقبلوه .. فى جبل عسفام .. أرسل جودك

صاح هيرودس صبيحة برده صدها فى أرجاء القصر ..
ولسقطت أسرودس ورأى من أفكارها وهرعها إلى صدها وقد
تهدج صوته وهو يقول :

- سأقتله ، فليذهب اليهود إلى مصر .. ليأتوني برأس الطفل .

لمسكت راحيل وأسودس من الكلام .. وسزال يهرعها ، كيف
عرف هيرودس حقيقة الأمر ؟ هل سمع حديثهما ؟ وتعلق به
بطراهما وما زال صوته يرق منكون الليل .

- فليذهب اليهود إلى مصر .. إلى جبل عسفام وليأتوني برأس الطفل
وأنت .

ودخلت أسودس ، وودت لو استطاعت أن تذهب إلى مصر ،
ولتحدث ثوما من رجال هيرودس .

(٢٩)

أُلفت مريم وصحبها الحياة في مصر .. فقد وحلوا فيها الأمل
والأنحاب ، وألها حلوا .. كانت المركبة تصحيم .. وكأنما أراد
الله أن يرد من مصر مركبة .. لقد بركها يوم وفد إليها إبراهيم
ومباركة .. ويوم شاء يعقوب ويوم أن يداخلوها آمنين .. وهذا هو ذا
ببركها محرم وعيسى : مصحبا يوسف .. يستمعون فيها ربح يوسف
ويعقوب وإبراهيم ..

ومضت الأيام ، والأشهر تفضل من طلبة إلى أخرى .. يطر
أفرادها الحب والسلام ، ويرزحون في طوب الناس الأمل .. تركوا
سطة إلى الحمة ثم إلى غيرها .. حتى برلوا أوبى .. هناك عرس فيها
عيسى شجرة التلمس : محصورة أوراقها ورائحة طلائقا ..

وفي مصر .. رأى يوسف ومريم كتبوا من آيات الرب
والمحكمة .. سمات شدة تحمل على أصحابها رسل الحياة إلى ما في
الكون ومن فيه .. وقيل .. حذب .. عيسى سلسلا ..

لقد كانت مصر لعيسى كذا مفتوحا .. يطالع بين سطوره آيات
باطلة قدرة الرب ، وصورا رائعة للمحكمة

ولقد ما أحرهم أن يحدوا مصر .. ولقد عبت بها الرومان كما علبوا
عسطين .. ولا شك أنهم شاهدوا وصحرو كثيرا من مظاهر الكفاح
والقهر الطويلة التي كان المصريون يعقون بها .. ويعقون إمبراطورهم

على تطهير أنفسهم من الروماني ... ترى على كانت مريم تدعو إليها
أن يقدر لمصر من ينشر فيها العدل والسلام ؟!

صور كثيرة تلك التي رأينا العائلة المقدسة ... وهم يسبقون حينها
أو ياتون السور أحاديث كثيرة ... حتى وصلوا هناك ... في أعينهم
في جبل قسطنطين ... على الضفة الغربية قليل ... تعلمهم كانوا يمشون
أعداء لهم ... أو تعلمهم أرحموا أن يحتفوا لرسم ...

حتى كانت ذات ليلة ...

كان كل شيء هادئ ... فالتفت قد أرحم أسفاره على الكون ... لقد
ملائكة حائكة السواد ... لولا تلك النجوم التي بدت لامعة في السماء
كأنها مصابيح ... فلما نظرت الناس بنور الإيمان ، وأحسنت مريم في
تلك الليلة بحسب إلى ديارها وأهلها ... كم أتم إلى أهلها ... حتى أوالئك
الذين ناموها العلماء حين هادئ الحمل إليهم ولدها ... كم تكسى أن
يعود إلى أورشليم ... حيث أخصني في بيت القرب ... وإلى حورود ...
حيث كان مولدها وسهدها .

فالت سالومة وقد لاحظت ما يظن به وجه مريم :

- أحيى إلى القديس يا أم سي ؟

- وإلى بيت القرب يا سالومة .

- وطوبك ؟! وهيرودس الذي ما زال يحلب إبنك ؟

- ذلك ما يحسب على القصر ... لكنه لا يحسب من القديس .

قال يوسف وهو يكتم مشاعره :

- مهل وسعدت في مصر إلا كل حور يا مريم ؟

- بل وحدت فيها كل ما يذكر في فلسطين .. أرضي .. حتى
الرومك وقسومهم .. كم يذكر في ذلك هيرودس
- ما أحسب إلا أن الأرض قد عده
- لكن الروماني ما يوثق معشوق فلسطين ..
- ما أحسب إلا أنها سبقي في مصر طويلاً ، حتى ينكر عيسى فيكون
رسولا إلى هيرودس : كما كان موسى رسولاً لفرعون

لكن مريم أسرعت تقول :

- كم طال ما التفت في مصر ، ومازل الحروف يثوق فيكوي
- أما رأت تخافين على إيلك ؟! لقد جاء العرب من شر هيرودس ..
- هو كذالك يا سألومة .. ولكنني أشعر الليلة كأنني أمرا يوشك أن
يرقى بعض أممنا في هذه المعركة .

قال يوسف :

- لعنه الظلام الذي يكتشف الخيل حولنا ..
- ما أحسست في الظلام خوف ، فإني نور الإيمان . يسبح عن قلبي
ظلام الليل .

قال يوسف :

- لك العرب يا مريم .. وإيملاً قلبك نور الأمان كما ملأه نور
الإيمان .. قدسي صاوغك ، واعتنى .. والتعويض عليك .. جعل في
ذلك راحة نفسك .

وعندما أصبح يطولون الزمان .. إلا مريم طرد طيت تصارع
لنكترتها .. حتى تقف رأسها خاضت .

وأشرق صباح اليوم التالي .. فحككت مريم أسرعهم إلى صوة
الهار .. ثم تبعها سالومة ، وراحتا فاحضتا الطريق الممتدة ما بين
قراىي ولعل .. فيها هما كذلك .. أبصرنا قادمًا يسرع نحوهما ،
وأحسنا بالهروب .. لكن مريم استردت بعضًا من شجاعتهما وهي
تقول :

- لا تخاف يا سالومة .. فإن بعضي نعدني كآل بسطة من فلسطين
في الطريق إليها .. تعطر أفعاسا ؟

كان القادم ما زال يسرع في طريقه .. فلما هي إلا خطوات سحي
أصمرت مريم رجلا يتجه نحوها .. ولعل أن تذكر علامات الإسهام
لأمرها .. كان يوسف قد أقبل عليها .. فإذا مريم تهبط في فرح :
- إنه يوسا ؟!

ورعد الجميع :

يوسا ؟!

وقالت مريم ويوسف في صوت واحد :

- نعم .. إنه يوسا .. فري ما أراء ؟ وما الذي جعله إلى انفسه
ها .. إذ وجهه تعلوه مشاق الطريق ، فبالا عشاء قادم من أجله ؟!

كان يوسا واقفا من قوم مريم .. ترتطه يوسف صفة قرابة
ومودة .. عى عاصروا الأحداث التي مرت بمريم .. وأقبل عليهم
يوسا ، ضياعهم ، وانقسم لهم ، وهشوا في وجهه رغم ههليلهم ،
وما كان الرجل يهدأ قليلا حتى قال لهم :

- هلموا .. فانتصروا عن هذه المغارة

وسكنت الجميع ، فقد خرجهم القضاة . أمن أهل هذا هذا
الرجل إليهم ؟

قال يوسف :

- ماذا تعني يا يوسف ؟ وكيف حضرت إلي هنا ؟
- دعوا ذلك . فما جئت لأطرحكم المحنة . لكنني أخاطبكم من
بعد هيروفس .

- هيروفس هيروفس ؟ صباح ثلاثهم معا ؟

- هو كذلك ونحن موسى .

قالت سلومة :

- يا القرب ! أما يزال الرجل على طيلاك ؟

وعدا يوسف يقول :

- ما أحسب أن الوقت بطول بكم في هذه المغارة . فأخرجوا
أمتعتكم . وخذوا حذركم . واتخذوا لكم مقاما آخر .

وأخذ الرجل يمكنه فلم ما كان من أمر هيروفس حينما علم هيروفس
الطبل وأنه ، وكيف أنه هجر بيوتة بالسلاج ليأتوا إلى مصر .

قال يوسف :

- إنه القرب . ما يزال يد الرجل سيئة ؟

ورفعت مريم يديها إلى السماء في صرخة تنادي رجا .

- اللهم رحمتك فوق مشيئة هيروفس . فسيء لنا الضجة :

وقال يوسف :

- هزنى عليك يا مريم ... هارب أكبر من هروبى وحده .. علموا
فصل الرب ومدحوه

وبها كانت مريم ومالومة يصلون الرب .. يسألونه الخو
والأمان .. كان يوسا وقد أجهده السير وطول الطريق .. فراح في
ناحية من الغابة .. ونرسد حجرا يطلب النوم .. كمن كان يعمل
حالا تعبلا .. لم أزاله من كاهله ..

وانتهت الأسرة من سلامهم ، فإذا يوسا قد مضى يخط في نوم
نوم عميق يوحى القادر ما كلمه الرسل من .. مشاق .. لكن
السلطات مضت .. والرجل ما يزال مائما لم اكتموا الحقيقة .. لقد
مات يوسا



(٢٢)

جميع السكون على قصور هيرودس ، إلا من ألفت تبريد في
صدوره ، ووروات حارة تقي ما يحصل في نفسه من الآلام .. وهذا
كل شيء حوله ... حتى دالات مجموعته .. لم تجد من السبع
ما يتركها .. كل ما حوله راكد جامد .. كم يضايقه هذا السكون ..
وهو الذي ألف الحركة والصحيح ، ولم يشعر بالوحشة لكنه
الزم ... قد ألقته ، كأنها يشده إلى فراشه بوزن متين وهم ما يست
في هذا الفراش .. جراً متقدماً يلهب ظهره .. وصور كثرة ترائي
أمام عيبه .. حتى لم يجد إليه أنه يفتقوا فوق بركة ألسنة من الضمائم
هناك .. وعلى مقربة من حجرة هيرودس .. كانت أسرهيس ..
العدالة الصغيرة التي ما تزال تعيش على ذاكرتها ، تنكر في العود
إلى ديارها وأهلها .. إلى النيل .. وارتكت أسرهيس حمرتها إلى
شرطها عليها تجد فيها ربحاً من مصر .. كانت النجوم ما تزال تطل
على الكون من حبلها ، وميضات النجم الأولى توطئ العالم بتورها
لغايده ، تنكسج ألامها عيوش الظلام ، وأصبت أسرهيس بأفواه
بلاص حديدا برهن ، ولستحات رقيقة تهدت صدورها ، وتعلم
حاصلات شعرها ، وهي ماضية في أنكارها ..

وبدا قرص الشمس يبدو في الأفق ، فأضحت إثيا صورة وطنية
وأمرأتها وليلها وأهلها ، وهذا .. فيها من كملك أصبت بد
ترمت على كسها ، فالتفت غدا هي .. راحيل ..

قالت راحيل وابعدا فلأ وجهها .

- يا أرحم الراحمين يا أمرديس !! انظري إلى قرص الشمس وهو
يبدو في الأفق ، وإلى أشعها وهي تسبح على التكون وراء من
الغياء .

- أما أنا يا راحيل فأرى فيها صورة لأكرتي بقومي .. لقد كانوا
على حق حين حبوا العدو من الشمس إذا لم .

- وقيل يا أمرديس !!

- يا أرحم الراحمين وأرحم مدافعه .. عبثه للصرب ، يا وأحدوه من
حر على يديه ، وسجلوا مضاعف قطره .. وقالوا عبثه الكثير من
المدح .. هكذا للصرب يا راحيل

قالت راحيل وقد سعدت بكلمات صاحبتها .

- أحيين إلى الفيلسوف يا أمرديس ؟ .. ونحن الرب ما قصدت أن أذكر
بمراجعتك .

صكت أمرديس قليلا .. وانظرت إلى السماء نظرا ، وإذا قرص
الشمس قد غلا في الأفق ، ثم استدارت نحو راحيل وهي تقول :
- ولكن نحن الآفة يا راحيل .. ماذا من رجال يروون الذين ذهبوا
إلى مصر ، من أهل الطفل .. التي وأنه !!
قالت راحيل :

- لقد مات الطود جميعا .. لم يصلوا إلى جبل قسقام .. أهدبهم
المسر ، وحطبتهم طول الطريق .. الرب شاء أن يحط الشيء وأنه
- فادعي الرب يا راحيل أن يحط غداي فأمر حتى تنقضي في مصر

لم نكد أميردیس تابی من کلماتها علی سمعت صیحة منکرمه ...
وأمیرات الخدم ... بسرحد الخطا ال فرج و هم یملون .
لقد مات هرودیس .



(٢٣)

استيقظت مريم منكورة كعادتها ، وخرجت إلى الحقل تعيش
صبرها صبراً ثقيلاً ، وتظر في صفحة الوجود عبوء القمر ، وهو
يسرع خطواته إلى العالم ، فإذا نساها ينقلب .

- ما أعظم حكمة الرب !.. هذا الكون بما فيه وحس فيه .. أتيت
على يد الرب ، وهذه الحياة عجزها وشرها .. مفقورة بحقيقة
الرب . وإذا كان الرب قد شاء أن يحجب الليل بالنهار والليل بالليل ،
ويشرق النور بعد الظلام ، فلا شك أن عذشته انقضت أن يملأ قلوب
البائس بالأمل .. وأن يحمر سور عذاته ، ويغنى ربحته كل ما في
الكون .

وأحسنت مريم في تلك الصورة وهي تهب بهذه الكلمات كأنها
تعب عما يعيش في صبرها .. إنها اليوم تشعر بسعادة كثيرة

قالت مريم كمن تحدث نفسها :

- لا بأس فحينئذ من الإنسان .. إنما يعيش على الأرض عجزاً
خطواته .. تزدحم أقباساً في صيدورنا بمشقة الرب .. الرب هو الذي
رسم لكل موجود حظه في الحياة . وإذا كان يوماً قد كتب له الرب
أن يبنى حياته في هذا المكان .. فهذه حكيمته

حيثما هي كذلك . أقل عليها يوسف وقال والإنسانة ثلثاً
وجهه .

- ما أحسب إلا أنك تمجّهون بقلبك إلى فلسطين ، وما تراقبن على عهد وأهلك في بيت الرب

- هو ما أقوله يا يوسف ، فهل يفتخر إله الرب بذلك ؟

قال يوسف :

- الرب قد استجاب دعائك يا مريم ، والفرح ملاقته لن يعود إلى ديارنا .

- وهوذا نحن ؟

- لقد مات .

وحكى يوسف لريم من أمره مع ملاك الرب ، وهو يفتن .

- يا يوسف ... لم صعد القسي وأخذ ، وانصب إلى أرض إسرائيل ، لقد مات طالعوا نفس القسي

وعرجت مريم وسالومة وصلوا للرب ... واستعملوا للروح إلى فلسطين



(٢٤)

أرأيت كم يسعد الإنسان الخائف حين نزول أحد ملائكته ؟ كم يسعد العروب حين يهرب إلى أهله ودياره بعد طول مراق ؟ هكذا كانت مريم ويوسف وسالمة وهم يودعون أرض مصر .. حيث انحدوا طريقهم إلى فلسطين .

ولكن كان الركاب قد حاذرو فلسطين ذات يوم في ظلمة الليل والخوف .. إلا أنهم اليوم يهتفون : إلى أرضهم .. إلى وضح النهار وصور الإنجليز .. يهركهم الحزين والقهلة ، ولحدودهم ضاية الله . مضى الجميع في طريقهم ، وذكريات كثيرة طيلة عن مصر .. فلا حوسهم وصور الأماكن والقرى التي داروها .. وذكريات الأيام التي كانت مريم تشارك أقرانها في غزل الصوف .. أو تلصق معهم في حفول التمسح أجمع سادته .. تستطيع أن تقري حيلاتها وليلها .. أليست هذه هي الحياة ..

وتذكرت مريم فيما تذكرته ذلك القصر الذي كان يهوى السوء بهم ، ولكن بركة الله دفعت به إلى الهداية ، فأصبح عارفاً طيب .. بعد أن كان يؤذيهم . وتذكرت مريم ذلك الرجل القلوم الذي رآهم ذات يوم ، وهو عائد من حقله عند العروب فأحدهم إلى داره .. يحضهم الفرد والمطر .. كم سمعت به روحه وسعدوا بها حيث شعيت .. بركة الله العليل .. كم تذكر تلك القرية القادحة القادحة

على القيل . . . بل بسطة حيث شاعرت احتفال المصريون بهلهم . ثم تذكر يوم جاءها من يافرها بأن حاكم المدينة يطلبهم . . فهربوا إلى حقل قمح . . أصبح الرب لم يمه نكاداً فلم يصل إليهم حدود الحقل . . إيا تذكر أيضاً مدينة حجاج التي استعظها أهلها بالترحيب والله والفراد . . ثم هي تذكر تلك المدينة العريقة أود حيث عرس فيها ابنها قصي يوسف . . ففتت شجرة . . اعطرت أفضالها . . إيا تذكر رحلتها إلى الجنوب حيث جبل فسيقام . . حيث شاء الرب قريهم يوسا أن يدس هناك ليكون لهم ذكرى

بالها من أحداث كثيرة . . تلك التي عاشها الأسرة . . كم كان بعضها مرارة العاقبة ، وبعضها حلو حين كان الرب يتحل عليهم . . وهم بذلك وذلك راسود . . وخرج أسعد ما يكون بأجساد إياها ، وصحبة يوسف .

ما هي إلا أيام قضتها الأسرة في الطريق . . حتى وصلوا إلى مدينة يورشلين . . فإذا هي كما تركوها . . حتى وجوه الناس ما تراق علامات الحزن بادية عليهم . . أصبح لقد مات هيرودس . . ولكن جاء بعده واسد من أبنا . . أرسيلانوس . . كراهوا من أبيه ١٠ ثم على عهد لم تنطه نهاية سلفه ١١ فالت مريم ليوسف .

- ما أخصب إلا أن هذه التبر لم تعد لها ١٢
وقالت سلومة -

- ولكنها أرسا . . أرضي لثباتها وأحداها . . فهلا نعلم بها بالأسرى
كما نسا في أرض مصر ١٣

قال يوسف :

- لما قرب مصر . وأبطلها الله من ظلم الرومان . كم أحس
بتلك الثورة التي ترتطم بها وبأهلها

وقالت مريم :

- ما رأت أشعر بالخوف حتى ليحيل إلى أن هرودس قد أوصى ابنه
أرجيلاتوس شرًا بما

ثم التفت إلى يوسف وقالت :

- إن هاتما ينتص في ألا ينفي هذا

- فهل يعود إلى مصر ؟

- لو كان الرب يريد لما البقاء في مصر لما أمرنا بالرحيل منها .

- فأني وسبعة بول وسبعة ؟ فهل كنت عظيمًا لفرجان ؟ لم رجع
يوسف وسبعة إلى قسماة وقال :

- هارب . عن موسى وإبراهيم . عن نسر عجل عدي ملك
مخفي في الطريق التي رسمها لنا . مستعصى سور إيمانك ، فهلا يلرب
منحنا سبل الرشاد ؟

قالت مريم :

- إنما أحس كأن هاتما ينتص في أن نواصل التمسير إلى الناصرة .
فلما بعدد عن سلطان أرجيلاتوس وأعلمنا بدأ هناك عند قوم عرفهم :

قال يوسف :

- لكن ما تشاكين يا مريم

ومضى المسيح في طريقهم إلى الناصرة . كم كانوا سعداء
وهم عاشون في طريقهم . ونسمات الآمال الصاعدة تهب إلى لهم .

وصور المستطيل المشرق تداعب أعلامهم .. كانوا يطالعون في النجوم
صورا جديدة لفكرة الرب ، ويتذكرون ما مضى عليهم من أحداث
وذكريات ، حتى إننا وصلوا إلى الناصرة وحلوا كل شيء كما
تركوه .. وكان حبيب يوسف المعلم ما زال دائما في قول الشراع
كأنه في انتظاره وهناك استأب يوسف حيله كمنحدر .. يشاركه
عيسى الصل والكفاح ويصيح صرعا سما فوله فلما مرر من
ساعة ، ومضى هم فائلة الحياة حتى يخلق الرب لهم ما قلته في
لوح صفيره وليكون لهم بعد في الوجود ذكرى .. وفي الطريق
صفحات يدارسها الخلف هي السلف .. ذكرى على مدى السلف

رقم الإيداع : ٩٣/٩٦٦٨

الترقيم الدولي : 978-963-11-04-00

